الفصل الخامس

مقدمة فى الأصولية المسيحية فى أمريكا

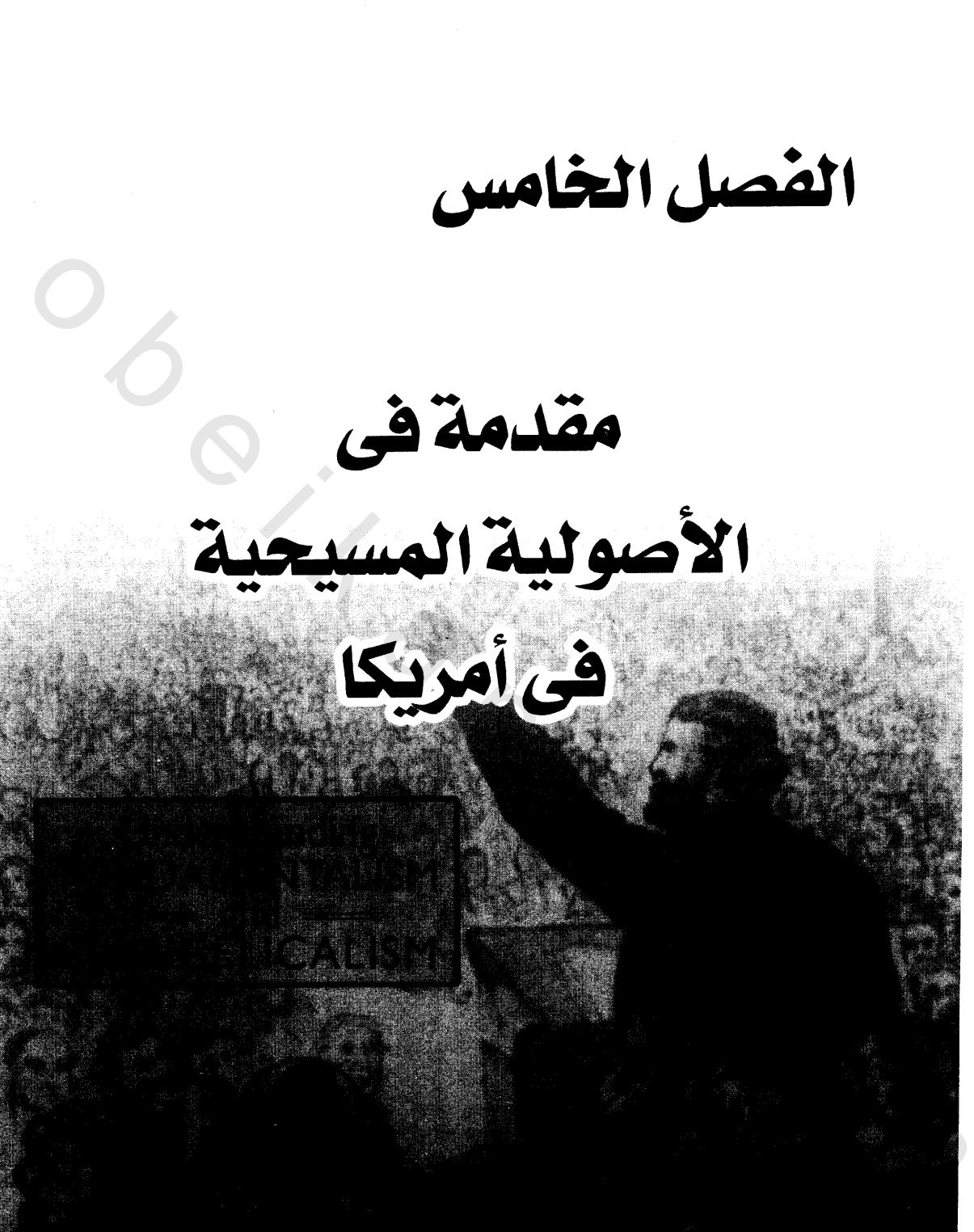

(أكثر من ٩٠٪ من مادة هذا الفصل مأخوذة من كتب أمريكية، وسيجدها القارئ مسجلة فى نهاية الكتاب).

obeikandl.com

مقدمة

يرى الكثير منا الولايات المتحدة وشعبها من نافذة التليفزيون والإعلام المصرى، والعربى بصفة عامة، بما يركز عليه من أفلام الشباب والجنس والعنف، وكأن الدين مستبعد من الحياة الأمريكية!

وفى حقيقة الأمر، لقد نشأت أمريكا على أساس دينى.. ففى مطلع القرن السابع عشر هاجر البيوريتانز، و هم طائفة شديدة التدين من البروتستانت، من انجلترا إلى أمريكا فراراً بدينهم؛ ليعبدوا الله بالطريقة التى يرونها.

وقد اعتبر هؤلاء المهاجرون أنفسهم «بنى إسرائيل» الشعب المختار الجديد، أو الفديم الجديد، يهاجرون من ملك انجلترا الذى أصبح لديهم بمثابة فرعون لموسى ومن تبعه.

كذلك اعتبروا نيوإنجلاند أورشليم الجديدة. أو بكلمات القس البروتستانتى صمويل ويكمان على ظهر السفينة أرابلا التى حملت البيوريتانز إلى خليج ماساشوستس:

... أورشليم كانت، لكن نيوإنجلاند هى الموجودة الآن.. اليهود كانوا، لكنكم أنتم (البيوريتانز) شعب الله المختار الآن، وعهد الله معكم، فضعوا اسم نيوإنجلاند مكان اسم أورشليم.

أما المهاجرون - أو الحجاج كما كان يُطلق عليهم - الذين جاءوا على ظهر السفينة «زهرة مايو - May Flower» فقد تعاهدوا على الميثاق التالى فى ١١ نوفمبر ١٦٢٠م:

باسم الله، نحن الموقعون على هذا، الرعايا المخلصون لمولانا الملك المهيب چيمس.. **حامى الدين، لما كنا قد قمنا بهذه الرحلة تمجيداً لله وإعلاءً لشأن المسيحية،**

وتبجيلاً لمليكنا وأمتنا . . . فإننا بموجب هذا الميثاق نتعاقد بإخلاص أمام الله، ونكون هيئة مدنية سياسية لتحسين أمورنا وصيانة حياتنا وتعزيز هذه الأغراض المذكورة.

. . . . . .

. . . . . .

بل فى الواقع التاريخى، إذا رجعنا إلى ما قبل ذلك، لوجدنا لرحلة كريستوفر كولومبس أساسًا دينيّا، بالإضافة للأسباب التجارية، تمثل فى **اقتناء الذهب والفضة لمحاربة المسلمين وتخليص بيت المقدس من أيديهم، مع نشر المسيحية الكاثوليكية فى آسيا** التى كان هدف الرحلة الوصول إليها بالإبحار غربًا، بعد أن توصلت المعرفة إلى كروية الأرض [1].

وعندما قاتل المهاجرون الهنود الحمر، اعتبروا أنفسهم بنى إسرائيل يقاتلون من حولهم من الأغيار.

وعندما ثار الأمريكيون على الحكومة البريطانية فى سبعينيات القرن الثامن عشر، اعتبروا أنفسهم - مجددًا - بنى إسرائيل والحكومة البريطانية هى فرعون موسى.

اعتقد الأمريكيون منذ إنشاء مستعمراتهم فى القرن السابع عشر أنهم شعب الله، وأن الله اختارهم، وكلفهم برسالة عالمية سموها «القدر المبين - Manifest Destiny» . . . .

وحتى نستطيع أن نتعرف على الأصولية المسيحية، يجب أن نعود فى التاريخ لنشأة البروتستانتية، مع خلفية قصيرة من التاريخ الإنجليزى قبل الهجرة لأمريكا.

* * *

(١) قصة الحضارة - ول ديورانت - الجزء ٢٣ صفحة ١٦٤، ١٦٧.

obeikandl.com

أولاً

من ظهور البروتستانتية
إلى ظهور البيوريتانز
(١٥١٦ إلى ١٥٥٥م)

«وهكذا تواجه الطرفان سبعة أيام .. وفى اليوم السابع دارت رحى الحرب فقتل بنو إسرائيل فى يوم واحد مئة ألف من مشاة آرام» (ملوك أول ٢٠: ٢٩)

SLAUGHTER OF THE SYRIANS BY THE CHILDREN OF ISRAEL

And so it was, that in the seventh day the battle was joined: and the children of Israel slew of the Syrians an hundred thousand footmen in one day . . . (I Kings 20: 29)

(*) الآراميون هم السوريون والعراقيون الآن ، والطبعة الإنجليزية من الكتاب المقدس تذكر السوريين ، وليس الآراميين .

خلفية تاريخية

ظهور البروتستانتية فى ألمانيا ١٥١٦ ــ ١٥٢٠م

قامت الكنيسة الكاثوليكية على أساس أن بطرس حوارى المسيح ـ عليه السلام ـ أسس كنيسته فى روما، ومن ثم استحقت كنيسة روما وبابواتها قيادة العالم المسيحى، فهم ورثة بطرس صخرة المسيح، الذين يتكلمون باسمه ويعلمون الدين باسمه ويحللون ويحرمون باسمه، وهم معصومون، طبقًا لما جاء فى الإنجيل من قول المسيح ـ عليه السلام ـ لبطرس:

«أنت صخر. وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى، وقوات الجحيم لن تقوى عليها. وأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكل ما تربطه على الأرض يكون قد ربط فى السماء، وما تحله على الأرض يكون قد حل فى السماء» ـ متى: ١٦: ١٨ـ١٩.

فما الذى جعل بعض البروتستانت[١] يعتبرون البابا عدو المسيح؟

بدأت المسيحية ضعيفة مضطهدة، كما بدأ الإسلام، ولاقى المسيحيون الأوائل شتى أنواع القمع والتعذيب والقتل، وضربوا أمثلة سامية فى الإيمان والتمسك بالعقيدة، والموت حبًا فى المسيح، ومن ذا الذى يعرفه ولا يهيم فى حبه؟

إلى أن أظهر الإمبراطور قسطنطين مسيحيته عام ٣١٢م ـ برغم الشك فى موته رومانيًا وثنيًا ـ اعتقادًا منه بأن توحيد إمبراطوريته على الدين المسيحى جدير بخلق توافق وانسجام، ومن ثم سلام وازدهار وتوسع.

بدأت الكنيسة فى روما تقوى، ويزداد نفوذها، ثم سيطرتها، ثم استبدادها، حتى أصبحت السلطة الدينية والسلطة الزمنية (الدنيوية) العليا فى أوروبا. بيدها مقاليد

---

(١) كان هذا ما يقال على بابا روما وقت نشأة البروتستانتية، وفى عصر الصراع الدموى بين البروتستانت والكاثوليك، وهذا ما يقوله بعض الأصوليين البروتستانت الآن، يضمون مع البابا الاتحاد الأوروبى.

السياسة والمال، وبالطبع الفكر بكل مجالاته، وهى الوحيدة ـ بمؤسستها الهيراركية التى تغطى كل أوروبا ـ التى تتكلم باسم المسيح، ولم تتوان فى استخدام حقها ـ كما أولت آية الإنجيل ـ فى الربط والحل.

وتزخر مراجع التاريخ المسيحى بالأباطرة الذين حرمتهم الكنيسة، وبمن جاءها مشيًا وبكيًا طلبًا للمغفرة، ومن رشاها لتمسحه إمبراطوراً.

دب الفساد فى الكنيسة، وتلطخت سمعة البابوات بشتى أنواع الجرائم، من الزنا إلى مؤامرات القتل والاغتيال، إلى تأجيج الحروب، إلى جمع الثروات بكل السبل، حتى صارت أغنى مؤسسة فى أوروبا [1]. وتصارع رجال الكنيسة على منصب البابوية، حتى أصبح هناك ثلاثة منهم فى وقت واحد عام ١٤٠٩م. انسكب جزء كبير من ذلك الفساد وفاض على كثير من كبار ثم صغار رجال الكنيسة، وتلك سمة فساد الرأس.

وفى درْك كل ذلك الفساد، ابتدعت الكنيسة صكوك الغفران، ومن يشتريها يدخل الجنة، أو كما راج فى ذلك الوقت:

فى نفس اللحظة التى ترن فيها دراهمكم فى الصندوق، تخرج النفس من المطهر (الأعراف) حرة منطلقة إلى السماء[2].

اكتسب البابوات، وكثير من كبار رجال الكنيسة وصغارها، كراهية الشعوب، عدا البسطاء إن لم يكن الجهلاء. وبدأ التفكير فى شرعية ما يفعلون، وما صلته بالمسيحية، وبالمسيح الذى عاش طاهراً نقيًا، متقشفًا زاهداً من كل متع الدنيا وملذاتها، وضحى بنفسه فى سبيل البشر.

ظهر فى انجلترا چون ويكلف (١٣٢٠ـ ١٣٨٤م)، مفكراً مستقلاً عن الكاثوليكية، واعتقد أن الله يمنح بركته ورحمته لمن يشاء، وقد كتب على كل إنسان مصيره المحتوم

(١) جاء فى «قصة الحضارة» ول ديورانت، الجزء ٢٢ عن ثروة الكنيسة: نصف ثروة ألمانيا ـ ثلاثة أرباع أموال فرنسا ـ ص ٣٩، خمس أملاك انجلترا ص ٦٨ـ ٦٩ جـ ٢٥.

(٢) «مارتن لوثر» ـ الدكتور حنا جرجس الخضرى ـ دار الثقافة ـ ص ٦٤.

فى الأزل قبل مولده، وليست الأعمال الصالحة هى التى تنجى صاحبها، ولا تحتاج علاقة البشر بالله إلى وسيط، ولم يقصد المسيح أن يكون لمن تبعه من حواريين وأساقفة أموال وثروات.

ويقول ويكلف عن الأساقفة الكاثوليك فى كنيسة انجلترا:

«يخدعون الناس بصكوك الغفران الزائفة، وينهبون أموالهم، لعنة الله عليهم. وإذا كان فى مقدور البابا أن ينتزع الأرواح من المطهر، فلم لا ينتزعها على الفور عملاً بروح الإحسان المسيحية؟.. إن كثيرين من رجال الدين يدنسون أعراض الزوجات، والعذارى، والأرامل، والراهبات، بكل ضروب الفسق والفجور.. وهم نهابون.. خبثاء، ثعالب ماكرة.. ذئاب ناهشة... شياطين.. قردة» (١).

ثم يشير ويكلف إشارة رقيقة فيقول: إن البابا هو عدو المسيح الذى تنبأت به الرسالة الأولى من رسائل يوحنا، وإنه الوحش الوارد ذكره فى سفر الرؤيا [صفحة ٧٢] واستبق ويكلف مارتن لوثر وكالڤين عندما قال:

«لاحاجة إلى الاعتراف السرى أمام الأساقفة.. كما أن القس صالحًا أو طالحًا لا يستطيع أن يحيل الخبز المقدس إلى جسد المسيح ودمه».

ابتدأ ويكلف بترجمة الكتاب المقدس من ترجمة جيروم اللاتينية. ثم جاءت نهاية ويكلف الحزينة، بكلمات ديورانت:

«ولما كان عام ١٣٨٤م، دعا البابا أربان السادس ويكلف للمثول بين يديه فى روما. لكن دعوة أخرى كانت ذات سلطان أكبر. ذلك أن المصلح المريض وافته المنية [آخر أيام ديسمبر ١٣٨٤م]، ودفن فى لتررورث.... لكن عظامه أخرجت من قبره بناء على قرار من مجلس كنستانس (٤ مايو ١٤١٥م) وألقيت فى مجرى ماء قريب من القبر، ودار البحث عن كتاباته، وأبيد كل ما عثر عليه منها» [صفحة ٧٦].

---

(١) قصة الحضارة، الجزء ٢٢، ص ٧١.

مارتن لوثر

راهب ڤيتمبرج الكاثوليكى

عاين لوثر انحطاط الكنيسة الكاثوليكية، ورهبانها فى ألمانيا، وأعمل فكره فى مبادئها، فاختلف معها واحتج عليها فى خمس وتسعين مسألة علقها على باب كنيسته فى ٣١ أكتوبر ١٥١٦م، نصفها تقريبًا احتجاجات على صكوك الغفران، وعلى سلطان البابا ورجال الكنيسة فى غفران الذنوب وقبول التوبة.

وأقام لوثر مذهبه البروتستانتى على الأسس الآتية:

- الكتاب المقدس هو المصدر الأعلى للمسيحية، وليس أقوال وتعاليم (تقاليد) البابوات.
- **الكتاب المقدس صحيح كله، ويُفسر حرفيًا وليس مجازيًا.**
- التبرير بالإيمان وليس بالأعمال، فمن اختاره الرب يقوم بالأعمال الصالحة؛ لأن الرب اختار، وليس العكس. **وقد اختار الرب قلة من البشر للخلاص، فهم مختارو الرب**، والأكثرية الباقية مآلها الجحيم.
- لاخلاص إلا بقبول الرب يسوع المسيح كمخلص.
- المسيحيون متساوون، لا فرق بين كاهن أو علمانى [المقصود بالعلمانى من ليس من رجال الكنيسة].
- يجب أن يتاح لكل مسيحى تفسير الكتاب المقدس؛ لأن روح الله تعمل فى القارئ كاهنًا كان أو علمانيًا ليفهم النص.
- يهبط المسيح فيحضر القربان المقدس [فى العشاء المقدس] بطريق التجسد لحمًا ودمًا مع الخبز والنبيذ(١).
- يجب حرق الساحرات.

---

(١) أصر لوثر على أن المسيح يحل - ليس كذكرى، وليس كروح - لحمًا ودمًا فى خبز ونبيذ العشاء المقدس، **وأصر على ذلك التفسير الحرفى** أمام كل من عارضه بتلاوة آيات الكتاب المقدس: « **هذا هو جسدى... هذا هو دمى**» متى٢٦: ٢٦ - ٢٨، مرقس ١٤: ٢٢ - ٢٤، لوقا ٢٢: ١٩-٢٠.

وقال فى كتابه «المسيح ولد يهوديّا» :

● **اليهود هم أبناء الرب ونحن الضيوف الغرباء . . . . وعلينا أن نرضى بأن نكون كالكلاب التى تأكل ما يتساقط من فتات مائدة أسيادها ، تمامًا كالمرأة الكنعانية .**

ثار البابا ، وبعد كثير من الجدل اللاهوتى ، والشد والجذب القومى والسياسى والمالى ، أرسل البابا من يقبض على لوثر ليحضره للمحاكمة فى روما ، وأصدر قرارًا بحرمان لوثر فى ١٥ يونيه ١٥٢٠م ، وحرمان كل من يتعاون معه أو يدافع عنه .

فرد لوثر بسلسلة من الكتب تهاجم سيطرة البابا ، واحتكار رجال الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس ، وما تقوله الكنيسة عن حلول المسيح فى العشاء المقدس بواسطة الأسقف ؛ وما يرتبط بذلك من سحر وادعاء القدرات غير البشرية للأساقفة .

وانتهى الأمر بأن أحرق لوثر وأتباعه قرار الحرمان البابوى قائلاً : «بما إنك أحزنت روح القدس فلتلتهمك النيران» ، وانفصل عن الكنيسة الكاثوليكية وبشر بمذهبه الجديد ، فى ألمانيا ، وأوروبا ، **وأضاف إليه أن البابا عدو المسيح** .

چون كالڤين (١٥٠٩ـ ١٥٦٤م)

ولد فى فرنسا ، ودرس القانون ثم الأدب ، وبعد أن وصلته عظات لوثر فاستهوته ، تحول لدراسة الدين ، ثم أصدر كتابه الأول «مبادئ الدين المسيحى» واستهل طبعته الأولى بـ «مقدمة إلى أعظم ملك مسيحى لفرنسا» لكن البرلمان الفرنسى حرّم الكتاب ، وأحرق نسخه علنًا .

وافق كالڤين على أفكار لوثر فى التبرير بالإيمان ، وأن **الرب اختار بمشيئة حرة لا تتوقف على ما نتمتع به من فضائل أو نتصف به من رذائل ، من منا تكتب له النجاة ، ومن يعذب فى نار جهنم**[١] ، وقال إن استخدام الصور والتماثيل انتهاك صارخ للوصية الثانية من الوصايا العشر ، وتشجيع على عبادة الأوثان ، ويجب إزالتها من الكنائس . والكنيسة الحقة هى كل الذين يعترفون بنفس الرب والمسيح ، ويشتركون فى مراسم التعميد ، والعشاء الربانى ، **ولا خلاص خارج هذه الكنيسة** .

---

(١) علق ديورانت على ذلك قائلاً : فكرة كالڤين عن اختيار الله لبعض الناس ، قد يكون مدينًا بها للصبغة اليهودية فى العقيدة [الاختيار أو الشعب المختار] ، كما تدين البروتستانتية بالكثير للعهد القديم .

وأضاف كالڤين أن الحكومة المثالية هى حكومة رجال الدين، والدولة والكنيسة مقدستان، وعلى الكنيسة أن تضع قواعد العقيدة والعبادة والأخلاق، والدولة تدعمها.

استدعت مدينة چينيڤ كالڤين، فأسس بها «**مدينة الله**» التى حكمها بمساعدة رجال الدين، وكان أول عمل قام به هو «إعادة تأسيس تنظيم الكنيسة، وصاغ قانونًا كنسيًا جديدًا أجازه المجلس فى يناير عام ١٥٤٢م، ولا تزال الكنائس التى تناولها الإصلاح والمشيخية فى أوروبا وأمريكا تقبل معالمه الجوهرية».

رأى كالڤين أن التقسيم الطبقى أمر طبيعى، واعتبر مذهب كالڤين العمل الشاق، والاقتصاد فى المعيشة، وإنكار الخمول والراحة، علامات الأخلاق البروتستانتية - ولعل ذلك، كما قال ديورانت، قد أسهم فى صقل رجل الأعمال البروتستانتى - كذلك اعتبر الثراء علامة على قبول الرب.

وقال كالڤين إن القانون الحقيقى لدولة مسيحية يجب أن يكون الكتاب المقدس.

تشدد كالڤين فى حكومته حتى رفضته چينيڤ التى استدعته وطردته، ثم طالبت بعودته ثانيًا، فعاد إليها ولكن كسير النفس مهزوز الثقة.

وعلق ديورانت على آثاره قائلاً:

لم يكن وطنيًا، فقد كان الدين بلده، **وعلى هذا فعقيدته، مهما لحقها من تعديل، ألهمت البروتستانتية فى سويسرا وفرنسا واسكوتلاند وأمريكا، واستولت على قطاعات كبيرة من البروتستانتية فى المجر وپولندا وألمانيا وهولندا وانجلترا**. ولقد أضفى كالڤين على البروتستانتية فى كثير من البلاد تعظيمًا وثقة واعتزازًا بالنفس؛ لتعيش وتصمد أمام ألف محنة.

البروتستانتية مقابل الكاثوليكية

وضع لوثر وكالڤين الملامح الرئيسية للكنيسة البروتستانتية، التى نمت من بعدهما فى أوروبا، وأصبحت الديانة الرئيسية فى أمريكا.

فما الجديد الذى أتت به البروتستانتية فيما يخصنا فى الشرق الأوسط؟

الإيمان بصحة الكتاب المقدس وعصمته، وتفسيره حرفيّا، واعتماد نبوءاته، أحيا - تدريجيّا وتراكميّا - عند البروتستانت عقيدة الشعب المختار، وأرض الميعاد، وعودة المسيح ليحكم العالم من القدس ألف سنة بعد معركة هرمجدون الدموية، حتى أصبح ذلك - كما سنرى - من أساسيات الأصولية البروتستانتية.

ويلخص كليفورد لونجلى - الصحفى والكاتب الإنجليزى - فى كتابه «الشعب المختار - الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا»[1] اختلاف الرؤية الكاثوليكية عن البروتستانتية:

... ويبدو أن الجانبين يختلفان أشد الاختلاف فى مواقفهما من الكتاب المقدس عندما يتعلق الأمر بفهمهما لعلاقة العهد القديم بالحوادث اللاحقة له... اعتقدت الكنيسة [الكاثوليكية] أنها هى نفسها صارت شعب الرب. فقد كانت معركتها روحية. ولكن البروتستانت رأوا العهد القديم بصورة أكثر حرفية. بالنسبة لهم إسرائيل الجديدة أمة مثلما كانت إسرائيل القديمة بالضبط. وبينما كانت كنيسة العصور الوسطى قد أضفت مسحة روحانية على رسالة العهد القديم، وتعاملت مع معظم ما جاء به على أنه مجاز مركب، أو مزاعم وادعاء، فإن البروتستانت أخذوه بقدر أكبر من الحرفية، وتعاملوا معه بقدر أكبر من السياسة. وهكذا فإن الروايات الكبرى التى يسردها العهد القديم قد تجسدت بقوة فى المذهب البروتستانتى. **وقد اقترح بعض المؤرخين أن الأمريكيين - الذين يفتقرون إلى تاريخ خاص طويل - كانوا أسعد ما يكونون بتبنى تاريخ بنى إسرائيل. وكان بوسع البروتستانت الإنجليز الأوائل أن يجدوا مزية مشابهة. وعندما قام رئيس الوزراء داڤيد لويد چورچ بتولى رئاسة الحكومة البريطانية التى أصدرت وعد بلفور سنة ١٩١٧م، الذى وعد اليهود بوطن قومى فى الشرق الأوسط [فلسطين] قال: إنه ربما كان يعرف عن ملوك بنى إسرائيل أكثر مما يعرف عن ملوك انجلترا. وكان هذا يعكس حالة عقلية شائعة جدّا بين معاصريه.**

(١) ترجمة الدكتور قاسم عبده قاسم، ومن منشورات مكتبة الشروق الدولية، ص ٣٩، ٤٠، الجزء الأول.

● القدس الجديدة

وتحت عنوان «القدس الجديدة» أكمل لونجلى قائلاً:

لو أن أى زائر متحذلق من المريخ كان يتجول فى كنيسة ويستمنستر يوم الثلاثاء ٢ يونيو ١٩٥٣م[١]، فلا بد وأن يدرك بسرعة أن ثمة احتفالاً عامّا كبيراً على وشك أن يحدث. فقد كان هناك استعداد لحفل تتويج. ومع الوقار اللازم، كان ثمة حاكم جديد على وشك أن يقسم اليمين، ويجلس على العرش، ويضع التاج على رأسه، وتُؤدى له مراسم الولاء والطاعة، ثم يكال له المديح علنًا. ولو أن تفتيشًا جرى لعدة ثوان، لكشف لرجل الفضاء القادم من المريخ أن ما كان على وشك البداية كان قداسًا دينيّا، على الرغم من أن الاستعراض التمهيدى فى الخارج يكاد يكون عسكريّا خالصًا. إذ إن الاحتفال كان به قدر كبير يتعلق بالرب ـ من خلال العهود التى قدمت له، بأن يكونوا مؤمنين به، ويصلون له، ويحمدونه ـ أكثر مما يتعلق بالسياسة. وكان الوزراء الرئيسيون الحاضرون والذين تتركز عليهم الأضواء وزراء دينيين، أما وزراء الحكومة فكانوا مدفونين فى مكان ما داخل زحام المتفرجين، ولم يكن لهم أى دور بالفعل فى الاحتفال. فهل يُحتمل أن هذه كانت ثيوقراطية؟[٢]

وربما يكون القادم من المريخ قد قفز إلى استنتاج مضلل آخر: **أن الأمة التى يتم تتويج ملكها فى احتفال كانت تسمى إسرائيل، وأن عاصمتها القدس؛ لأن الخدمة بدأت بصلاة من سفر من الكتاب المقدس الخاص ببنى إسرائيل القدامى من افتتاحية المزمور رقم ١٢٢:**

«فرحت بالقائلين لى إلى بيت الرب نذهب. تقف أرجلنا فى أبوابك يا أورشليم. أورشليم المبنية كمدينة متماسكة متحدة، حيث صعد الأسباط، أسباط الرب شهادة لإسرائيل ليحمدوا اسم الرب. لأنه هناك نصبت عروش للقضاء، عروش آل داود. اسألوا سلامة أورشليم. ليسترح محبوك. ليكن سلام فى أبراجك راحة فى قصورك...».

---

(١) يصف الكاتب مراسم تتويج ملكة انجلترا الأخيرة الحالية.

(٢) حكومة دينية.

كانت كلمات حفل التتويج سنة ١٩٥٣م واضحة صريحة فى هذه النقطة. فبينما وضع الدكتور فيشر قطرة من الزيت على بشرة الملكة، كان يتلو، أولاً: «اتركى يديك تمسحان بالزيت المقدس»، ثم «دعى صدرك يمسح بالزيت المقدس»، وأخيراً «اتركى رأسك تمسح بالزيت المقدس» مثلما يمسح الملوك والكهنة والأنبياء، ثم غير طبقة صوته قائلاً «**كما مسح سليمان ملكا على يد صادوق الكاهن وناثان النبى، كذلك تمسحين وتكرسين وتباركين ملكة على الشعب، الذين أعطاهم الرب إلهك لهم لكى تحكميهم...**».

وهذه الكلمات تجد لها صدى فى ترنيمة صادوق الكاهن المأخوذة عن النسخة المعتمدة **سفر الملوك الأول، الإصحاح الأول: ٣٩-٤٠، ومن ثم وضع موسيقاها جورج فريدريك هاندل، وكانت هذه الترنيمة تنشد أثناء تتويج إليزابث الثانية، كما كانت قد أنشدت فى حفل تتويج أبيها «فنزل صادوق الكاهن وناثان النبى وبناياهو بن يهوياداع والجلادون والسعاة، وأركبوا سليمان على بغلة الملك داود، وذهبوا به إلى جيحون. فأخذ صادوق الكاهن قرن الدهن من الخيمة ومسح سليمان. وضربوا بالبوق وقال جميع الشعب ليحى الملك سليمان. وصعد جميع الشعب وراءه، وكان الشعب يضربون بالناى ويفرحون فرحًا عظيمًا حتى انشقت الأرض من أصواتهم»**.

وتمامًا مثلما كان سليمان يحكم وفقًا للأسلوب الذى تم إرساؤه فى الأسفار الخمسة الأولى التى تشكل التوراة العبرية، فإن الملكة إليزابث تسلمت نسخة من الكتاب المقدس المسيحى [الذى يشمل العهد القديم والعهد الجديد]، الذى يبدأ بنفس هذه الأسفار الخمسة، أسفار موسى «**لكى تبقى جلالتك على الدوام وفى ذهنك قانون الرب وكتابه المقدس، بمثابة القاعدة التى تسير عليها حياة الأمراء المسيحيين وحكوماتهم**». وقال لها كبير الأساقفة: نحن نهديك هذا الكتاب، أقيم شىء يستطيع هذا العالم توفيره، ثم يغير وسيط المجلس لكنيسة اسكوتلاند، الذى كان يسهم مع كبير الأساقفة فى المراسيم نغمة الصوت بقوله: «**هنا الحكمة؛ هذا هو القانون الملكى؛ هنا تجليات الرب الحية**».

وبينما كان سيف الدولة تتم مباركته، استعدادًا لتمريره إلى الملكة بأيدى كبير الأساقفة وغيره من كبار الموظفين، كان يترنم:

«اسمع صلواتنا يارب فنحن نبجلك، وكذلك وجه وساند خادمتك الملكة إليزابث لكى لا تحمل السيف عبثًا؛ ولكن لتستخدمه وزيرة للرب لإرهاب وعقاب من يرتكبون الشر، ولحماية وتشجيع أولئك الذين يفعلون الخير من خلال سيدنا يسوع المسيح. آمين».

وبينما يمرر السيف إليها، وبينما هى تمسكه، يستمر فى ترنيمته:

«تقبلى هذا السيف الملكى المجلوب الآن من مذبح الرب، وقد سلم إليك بأيدينا نحن الأساقفة وخدام الرب، على الرغم من عدم جدارتنا بهذا السيف. مارسى العدل، أوقفى نمو عدم المساواة، احمى كنيسة الرب المقدسة، ساعدى الأرامل واليتامى ودافعى عنهم، أعيدى الأشياء التى تلاشت وحافظى على الأشياء التى أعيدت، عاقبى وأصلحى ما هو فى فوضى، وثبتى ما هو فى حال ونظام سليم، لأن فعل هذه الأشياء قد يجعلك مجيدة بكل الفضائل؛ وكذلك اخدمى بإخلاص سيدنا يسوع المسيح فى هذه الحياة حتى يمكن أن تحكمى إلى الأبد معه فى الحياة الآتية. آمين».

. . ومنها خاتم الكرامة الملكية الذى توافق قبول الملكة له مع صلاة كبير الأساقفة:
«بينما أنت فى هذا اليوم يتم تكريسك رئيسة وأميرة علينا، فكذلك استمرى بثبات مدافعة عن دين المسيح: إذ إنك إذا كنت غنية فى العقيدة ومباركة فى كل الأعمال الخيرة، فسوف تحكمين معه هو ملك الملوك، له المجد إلى الأبد ومنذ الأزل. آمين».

. . . . والحقيقة أنه كانت ثمة رابطة، وهى رابطة غاية فى العمق والشمول. وعلى الرغم من أنها كانت ماثلة بالضرورة فى أذهان الشعب الإنجليزى وهو يشاهد حفل التتويج، فإنه لم يحدث أن تم التصريح بها علنًا فى أى مكان؛ إذ إن الرابطة بين كل هذه الأمم الممثلة بطرق مختلفة فى دير وستمنستر فى ذلك اليوم من سنة ١٩٥٣م، هى أنه فى فترة ما من ماضيها، قد استوطنها أو غزاها أبناء تلك الأمة التى تسمى بريطانيا العظمى والتى تشكل انجلترا أربعة أخماسها. **وكانت القوة الدافعة فى حملة الغزو الكبرى هذه وموجة الاستيطان الكبرى التى صاحبتها هى بالضبط الاعتقاد الإنجليزى بأن أمتهم قد اختارها الرب وحدها لدور فريد فى تاريخ العالم. وكان دور هذه الأمة المختارة، التى ورثت مهمة إسرائيل القديمة، هى نشر الحضارة الإنجليزية - أى الحضارة البروتستانتية - فى**

أركان الدنيا الأربعة. وأولئك الذين قاوموا إنما كانوا يقاومون إرادة الرب، ويمكن إزاحتهم جانبًا، أو استئصالهم، إذا دعت الضرورة لذلك. لقد كان التتويج احتفالاً بهذا التاريخ غير العادى، وأعطى الأمة الإنجليزية قدرًا هائلاً من الرضى. وكانت أوائل خمسينيات القرن العشرين فترة لا تناسب الشعور بالذنب من الاستعمار بحيث تقضى على شعور الرجل الإنجليزى بالفخر بإمبراطورية لا تغيب عنها الشمس حتى سنة ١٩٥٣م. إذ كانت الإمبراطورية شيئًا ينبغى شكر رب الإنجليز عليه. إنه هو الرب الذى جعل هذا ممكنًا[1].

البروتستانتية فى انجلترا وأمريكا
من الملك هنرى الثامن إلى إعلان الاستقلال الأمريكى
(١٥٠٩ إلى ١٧٧٦م)

صادف زمن احتجاج مارتن لوثر، تربع الملك هنرى الثامن - على عرش انجلترا لمدة ٣٧ عامًا، من ١٥٠٩م، والذى قال عنه ديورانت: البطل والوغد معًا فى أكبر حكم درامى فى التاريخ الإنجليزى.

كان جذابًا، رياضيًا، موسيقيًا، بوسعه أن يستشهد بآيات من الكتاب المقدس لأى مناسبة، وقال عنه السير توماس مور: أعلم من أى ملك إنجليزى قبله.

وكانت كنيسة انجلترا كبقية الكنائس الكاثوليكية، سواء من ناحية تضخم الثروة وانحطاط أخلاق القسس، أو كراهية معظم الشعب لها.

ويلخص ذلك السطور التى نقلها ديورانت على لسان كوليه - واعظ الملك - فى خطاب وجهه إلى جمعية رجال الكنائس عام ١٥١٢م:

. . . أن تفكروا فى إصلاح أمور الكهنوت لأنه لم يحدث من قبل أن كان الأمر محتومًا كما هو الآن. لأن الكنيسة - زوجة المسيح - أصبحت دنسة مشوهة، وكما يقول، إشعياء: كيف صارت المدينة الأمينة عاهرة؟

---

(١) «الشعب المختار: الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا»، الاقتباس من صفحة ٤١ إلى ٦٤.

وكما يقول أرميا: أما أنت يا شعب الله فقد زنيت بعشاق كثيرين [1]. . . ـ[صفحة ٦٩ الجزء ٢٥ من قصة الحضارة].

زادت حدة انتقادات المفكرين الإنجليز للكنيسة الكاثوليكية وممارساتها، بل وعقائدها، واسترجعوا أفكار چون ويكلف، وتناقلوا أخبار ثورة مارتن لوثر الدينية. . . ونسخوا منشورات ووزعوها سرّا فى انجلترا. . . فتصدى لها الملك الكاثوليكى الغيور هنرى، وأصدر كتابه المشهور عام ١٥٢١م «قضية المقدسات السبعة ضد مارتن لوثر». . . وجاء فيه: «**أى ثعبان سام يصل إلى درجة من يصف سلطة البابا بأنها مستبدة؟ . . . وأى جارحة من جوارح الشيطان تحاول أن تمزق أعضاء المسيح وتفصلها عن رأسها؟ ما من عقوبة يمكن أن تكون جسيمة توقع على من يعصى القس الأكبر والقاضى الأعلى على الأرض؛ لأن الكنيسة بأسرها ليست رعية للمسيح فحسب. . . بل لكاهن المسيح الوحيد: بابا روما**» فجاء رد لوثر صاعقًا. . على «ذلك الحمار الأحمق. . المجنون. . . ملك الأكاذيب. . . ولما كانت تلك الدودة اللعينة **العفنة، قد افترت كذبًا على مليكى فى السماء، فإنه يحق لى أن ألطخ هذا الملك الإنجليزى بقذره**»ـ[صفحة ٧٣ ، ٧٤ من المرجع السابق].

كامبريدچ وأكسفورد

درس فى كامبريدچ وأكسفورد فى ذلك الوقت تندال، وبلنى وغيرهما، ثم ذهبوا إلى أوروپا، وطبعوا كراسات دينية تهاجم الكاثوليكية، وبعثوا بها سرّا إلى انجلترا.

وذهب تندال إلى لوثر؛ ليكمل ترجمة الكتاب المقدس من الأصلين العبرى واليونانى إلى الإنجليزية، وطبع ستة آلاف نسخة أضاف فيها آراءه وانتقاداته للكاثوليكية، وهربها إلى انجلترا، فكانت بمثابة الوقود الذى أشعل نار البروتستانتية الأولى.

---

(١) العهد القديم، سفر أشعياء: الإصحاح الأول: ٢١.
العهد القديم، سفر إرميا: الإصحاح الثالث: ١.

زعم تونستال أسقف لندن أن الترجمة بها أخطاء شنيعة، وقامت الكنيسة بطباعة ردود عليها ـ شارك فيها توماس مور ـ مع حرق النسخ التى تقع تحت يدها، ورأى الملك أن يخمد الفتنة بمنع تداول وقراءة الكتاب المقدس بالإنجليزية، إلى أن تصدر ترجمة معتمدة. . . ولم يفطن أن ذلك كان بمثابة أول الغيث بالنسبة للپروتستانتية الصاعدة.

قارب تندال من إنهاء ترجمة الكتاب المقدس، ولكن أفلحت كنيسة انجلترا ـ بجواسيسها فى كل مكان ـ من الإمساك بتندال، وسجن بالقرب من بروكسل، ثم أعدم فى المحرقة عام ١٥٣٦م.

لم تكن تلك المحرقة بلا سابقة، فطبقًا لديورانت:

فى عام ١٥٢١م تمت محاكمة خمسة وأربعين هرطيقًا وأحرق خمسة، وتورد السجلات قائمة تضم ٣٤٢ محاكمة مماثلة خلال خمسة عشر عامًا. . . . ومما كان يُعد من الهرطقات الجدل حول القربان المقدس[١]...

طلاق هنرى

وانقلابه على البابا (كاهن المسيح الوحيد)

وانفصال كنيسة انجلترا عن روما

تزوج آرثر ـ أخو هنرى الثامن الأكبر ـ بكاترين، ابنة فرديناند وإيزابيلا (ملك وملكة إسپانيا الكاثوليكيين جدًا) ومات بعد ستة شهور دون إنجاب. أراد الملك هنرى السابع ألا تعود كاترين لإسپانيا، فيفقد مهرها الكبير، ويفقد حلفه مع إسپانيا، فزوجها من ابنه الثانى هنرى الثامن. عارضه بعض الأساقفة، ولكنه استطاع الحصول من البابا يوليوس الثانى على مرسوم بمباركة الزواج.

(١) مسألة تحول الخبز والنبيذ إلى جسد المسيح ـ عليه السلام ـ ودمه، أو حلول المسيح ـ عليه السلام ـ فى الخبز والنبيذ.

أنجب هنرى الثامن من كاترين عدة أبناء، لم يعش منهم سوى مارى. أراد هنرى طلاق كاترين[1] والزواج من آن بولين، سواء للحصول على وريث ذكر، أو لهيامه بها. وأرسل للبابا طالبًا أن يعلن البابا بعدم شرعية زواجه من كاترين ـ والذى دام ما يقرب من عشرين سنة ـ بحجة أنها زوجة أخيه ولا تحل له، ولم يستجب البابا، سواء كان المانع أن مثل ذلك الإعلان يجعل من سلفه يوليوس الثانى المعصوم، خاطئًا، أو لئلا يغضب ملك إسپانيا القوى، أو لغير ذلك.

انتظر هنرى عدة سنوات، فلما لم ينل من البابا مراده، أعلن انفصال كنيسة انجلترا نهائيًا عن روما، وأعلن نفسه رئيسًا للكنيسة، ولكن دون اختلاف عن قانون الإيمان الكاثوليكى.

وكما جاء فى «مختصر تاريخ الكنيسة» ـ أندرو ملر، مكتبة الإخوة صفحة ٦٨٤ ـ ٦٨٥: «**عقد الملك مع رجال الإكليروس اتفاقًا من أردأ الاتفاقات.. فقد أعطى للإكليروس السلطة ليسجنوا ويحرقوا المصلحين (البروتستانت)، بشرط أن يساعدوه على امتلاك السلطة التى اغتصبها من البابا....**

... كان من الصعب أن ينجو أى إنسان مخلص من الاضطهاد فى ذلك العصر... فالمصلحون (البروتستانت) كانوا يضطهدون كهراطقة و كثيرون من البابويين (الكاثوليك) كانوا يضطهدون كخونة..».

تزوج هنرى من آن بولين عام ١٥٣٣م بعد أن أعلن كرانمر رئيس أساقفة كنتربرى بطلان زواج الملك السابق بكاترين؛ لأنه مخالف للشريعة.

ملكات جدد

لم تنجب آن بولين لهنرى وريثًا ذكرًا، وإنما أنجبت بنتًا أسمتها إليزابث. ورأى هنرى فى چين سيمور وصيفة آن أمله فى إنجاب الوريث، فما كان منه إلا أن اتهم الملكة آن

---

(١) جاء فى «قصة الحضارة».. عبر هنرى عن خوفه من أن يكون حرمانه من إنجاب ولد عقابًا من الله؛ لأنه استخدم محللاً بابويًا.. وأقسم ليقودن حملة صليبية ضد الأتراك إذا أنجبت له الملكة ولدًا، غير أن كاترين لم تحمل بعد ذلك ـ صفحة ٨١ الجزء ٢٥.

بالزنا مع عدة رجال، ومن ثم قطع رءوسهم مع رأس الملكة، ثم تزوج چين سيمور عام ١٥٣٦م، التى أنجبت له إدوارد السادس، وماتت بعد ذلك باثنى عشر يومًا.

ثم تزوج للمرة الرابعة من آن أخت زوجة أمير سكسونيا، بناء على نصيحة واختيار وزيره كروموبل، الذى علق آمالاً على هذا الزواج ليجذب الملك إلى البروتستانتية، ويلغى قانون المواد الست المناهضة للوثر [١].

ولكن عندما جاءت آن ورآها الملك، مات الحب من أول نظرة، وأغمض عينيه وتزوجها فى يناير ١٥٤٠م، ولكنه لم يصفح قط عن كروموبل، وأبطل زواجه من آن بحجة أنه لم يدخل بها قط، ثم قطع رقبة كروموبل فى ٢٨ يوليه ١٥٤٠م، وفى نفس اليوم تزوج من كاترين هوارد الكاثوليكية، وكف الملك المتقلب عن أن يتقرب من البروتستانت.

ولكن بلغ الملك عن زوجته الخامسة ما جعله يحاكمها ويقطع رأسها ويحكم على عشاقها بالسجن مدى الحياة.

ثم تزوج آخر مرة عام ١٥٤٣م من كاترين الثالثة، التى رعت صحته وصالحته مع ابنته إليزابث.

وعلى حد قول ديورانت: **لم تنقطع مشاغله اللاهوتية حتى نهاية حكمه، فأحرق ستة وعشرين هرطيقًا فى سنوات مماته الأخيرة، ومات الملك عام ١٥٤٧م بعد حكم دام ٣٨ عامًا، لم يتوان فيه عن اضطهاد الكاثوليك وإرسالهم للحرق أو المقصلة بسبب إنكارهم لرئاسة الكنيسة، وأيضًا لم يتوان عن اضطهاد البروتستانت وإرسالهم للحرق أو المقصلة بسبب جدالهم فى اللاهوت الكاثوليكى.**

ومع ذلك يقول ديورانت:

---

(١) يقضى هذا القانون بالموت على من يعارض:
* الاستحالة فى العشاء المقدس طبقًا للعهد الكاثوليكى. * الاعتراف. * نذر البتولية. * القداسات الخصوصية. وعلى من: * يدافع عن زواج الإكليروس. * يعطى كأس النبيذ فى العشاء المقدس للعلمانيين.

ومع ذلك يمكن القول إنه لم يسفك من الدماء عشر ما سفكه شارل التاسع عندما أجاز مذبحة سانت بارثلوميو [1]، أو شارل الخامس عندما صفح عن نهب روما، أو الأمراء الألمان عندما حاربوا ثلاثين عامًا للحصول على حقهم فى تحديد المعتقدات الدينية لرعاياهم.

إدوارد السادس، مارى الدموية، إليزابث، چيمس الأول ١٥٤٧ ـ ١٦١٤م.

وكأن هنرى لم يكتف بما سببه فى حياته، فقد أسفر تعدد زواجه عن ورثاء تقلبوا بين البروتستانتية الصاعدة والكاثوليكية الآفلة، فجاء إدوارد السادس، والذى حكم سبع سنوات، صدر خلالها إحدى عشرة طبعة من الكتاب المقدس، وصدرت الأوامر برفع التماثيل من الكنائس، وأعلنت الكنيسة أن الاعتراف السرى وتعليم الاستحالة غير كتابيين، وسمح بزواج الإكليروس، وأصبحت الخدمة فى الكنائس بالإنجليزية.

ويروى أندرو ملر تتويج إدوارد ملكًا:

. . . لما أوشك الركب أن يتحرك من كنيسة ويستمنستر إلى القصر، أتوا بثلاثة سيوف تحمل أمام الملك إشارة إلى ممالكه الثلاث، فقال الملك: ينقصها سيف آخر. . الكتاب المقدس. . لأنه ينبغى أن يحكمنا فى كل شىء، وبدونه نحن لا شىء. . ومن يحكم بدون هذا الكتاب لا يستحق أن يدعى ملكًا أو خادمًا له. .

ويروى كذلك صلاته الأخيرة قبل وفاته:

أيها الرب إلهى. . بارك شعبى وخلص ميراثك. . أيها الرب خلص شعبك المختار فى انجلترا. . احم هذه المملكة من البابوية. . واحفظ ديانتك الحقيقية. . [صفحة ٦٨٧].

ثم جاءت مارى تيودور. ابنة كاترين الإسپانية الكاثوليكية ولمدة ست سنوات، قلبت الكفة ثانيًا فى اتجاه الكاثوليكية، فرفعت أسهم البابويين، واضطهدت البروتستانت وعذبتهم وأحرقتهم أو قطعت رءوسهم، وفر الألوف إلى أوروپا.

(١) فى منتصف ليلة ٢٤ أغسطس ١٥٧٢م، دق ناقوس كنيسة سان چيرمان فى پاريس؛ ليبدأ الحرس الملكى وأشراف الكاثوليك فى ذبح البروتستانت، فكانت حصيلة المجزرة ألفين فى پاريس وثمانية آلاف فى بقية فرنسا.

وطبقًا لأندرو ملر، فخلال ثلاث سنوات، أعدم حرقًا مائتان وأربعة وثمانون شهيدًا، بينما مات كثيرون فى السجون من الجوع وسوء المعاملة.

ماتت الملكة مارى وهى فى بداية عقدها الخامس عام ١٥٥٨م، وجاءت بعدها الملكة إليزابث (بنت آن بولين) ذات الخمسة والعشرين ربيعًا، لتحكم انجلترا خمسًا وأربعين سنة.

لم تكن إليزابث متحمسة للكاثوليكية مثل أختها مارى ولا للبروتستانتية مثل أخيها إدوارد، ولكنها تحب الحياة والسيطرة مثل أبيها وأمها، وعينت وليم سيسل سكرتيرا ومستشارًا لها، وهو سياسى ماهر رأى أن من مصلحة البلاد تدعيم المذهب البروتستانتى.

. . . وأن هذه الدولة لن تستشعر الأمان والاطمئنان ما دام فيها تسامح نحو عقيدتين. . . . وأغرى إليزابث بأن تجعل من نفسها زعيمة لأوروبا البروتستانتية.

وتمثلت خطى أبيها. . فهى ترفض الكاثوليكية؛ لأنها تعنى خضوع الكاثوليك للبابا، وتريد أن تكون رأس الكنيسة البروتستانتية، بما للبابا من سلطان على الكنيسة الكاثوليكية. . . أو باختصار تريد أن تكون بابا البروتستانت. . . مع إبقائها للكثير مما يرفضه البروتستانت داخل الكنيسة. . . ابتداء بهيراركية الأساقفة، إلى ملبسهم الفاخر، وطقوسهم المستحدثة، وصور المسيح المصلوب التى كانت تعشقها.

ظهور البيوريتانز

تحت حكم إليزابث، أصبحت الدولة بروتستانتية، وأصبحت كنيسة انجلترا بروتستانتية، ذات نظام هيراركى أسقفى، تسيطر عليه الملكة، بل وتسيطر حتى على لبس الأساقفة وخدمتهم.

ولكن مع انتشار الكتاب المقدس باللغة الإنجليزية، وأفكار كالڤين، ظهر داخل الكنيسة البروتستانتية من يعترض على كل ما تريده الملكة إليزابث، بدءًا من تدخل الدولة فى الكنيسة، إلى الصلاة الأشبه بالصلاة الكاثوليكية. . . مرورًا بالملابس والصور. . .

رفض البيوريتانز - وهو الاسم الذى أطلق عليهم فى ستينيات القرن السادس عشر - أى سلطة أو رقابة للدولة على الكنيسة[1]، وطالبوا بتطهير البروتستانتية من كل الطقوس والعبادات غير الواردة فى الكتاب المقدس.

وأحسوا أنه لاخلاص من الجحيم إلا بإخضاع كل ناحية من نواحى الحياة للدين والأخلاق.

وبكلمات ديورانت: كلما قرأوا الكتاب المقدس، كاد أن يتوارى شكل المسيح أمام الرب المحب للانتقام (يهوا) الوارد ذكره فى التوراة [صفحة ٣٣ جـ ٢٨].

رأى البيوريتانز أن المسيح عهد بالسلطة الكنسية إلى الإخوان الشيوخ من كبار السن، تنتخبهم كل قرية أو مدينة أو مقاطعة، وتنظم تلك السلطة المنتخبة الحياة وفقا لما جاء فى الكتاب المقدس، ولها حكم القضاء، دون أن يكون للدولة أى سلطان روحى على الكنيسة بأى شكل من الأشكال.

تم تأسيس أول كنيسة مشيخية فى واندرورث عام ١٥٧٢م، ثم قامت كنائس مماثلة فى المقاطعات الشرقية والوسطى فى انجلترا. ومال أصحاب الأعمال والحرفيون فى لندن للكالفينية المتشددة، كحصن ضد الكاثوليكية، ومن الناحية الثانية لإقرار كالفين بالفائدة فى المعاملات المالية.

ثم تطورت أفكار البيوريتانز وتشددت ضدد كنيسة انجلترا البروتستانتية، حتى نادى بعضهم بالانفصال الكامل عنها لعدم جدوى إصلاحها من الداخل.

وفى نفس الوقت أحست الملكة إليزابث بخطر الحركة البيوريتانية، فبدأت فى قمعها، وعادت عمليات الاضطهاد والاعتقال، والإعدام إذا لزم، ولكن فى أضيق الحدود.

وبدأ البيوريتانز فى التفكير فى الهجرة، فكانت أولاً إلى هولندا، ثم اتجهت لأمريكا، فى مطلع القرن السابع عشر.

(١) سيظهر هذا فيما بعد تحت مصطلح: فصل الدولة عن الكنيسة.

ويلخص ديورانت الحال فى انجلترا فى مطلع القرن السابع عشر، تحت حكم چيمس الأول(١٦٠٣-١٦١٤م) بأنه: **فوق الصراع الاقتصادى، والسياسى، استعرت نار الحرب الدينية... حملات عنيفة شنها البيوريتانز على الأساقفة والطقوس الإنجليكية [التابعة لكنيسة انجلترا البروتستانتية]، أو الإنجليكيون [التابعون للكنيسة الرسمية فى انجلترا] على صرامة البيوريتانز وعنادهم، أو شنها هؤلاء وهؤلاء على مؤامرات الكاثوليك لإعادة انجلترا إلى حظيرة البابوية.**

.. وحاول ليونارد بوشر فى كتابه «السلام الدينى» - ١٦١٤م، أن يدلل على أن الاضطهاد الدينى يوسع هوة الخلاف ويؤدى حتمًا إلى النفاق، ويضر بالتجارة، **وذكّر الملك چيمس بأن اليهود والمسيحيين والأتراك المسلمين متسامحون فى القسطنطينية، فهم جميعًا يعيشون فى سلام.**

ولكن انجلترا كانت مرجلاً دينيّا فى حالة غليان، تتقلب فيها الأحوال، فقد نشبت حربها الأولى من ١٦٤٢-١٦٤٦م، وانتهت بأن أنهى البرلمان الحكومة الأسقفية الأنجليكية، وأقر التنظيم والمذهب المشيخى، أى منع تعيين الأساقفة فى مجلس اللوردات والوظائف العامة الكبرى، **وألغى أى تدخل للدولة فى شئون الكنيسة**، وتم إعدام الملك شارل عام ١٦٤٩م.

ثم اجتاحت انجلترا الثورة الثانية، بعد أن بدأ الملك چيمس الثانى(١٦٨٥-١٦٨٨م) بالإفراج عن الكاثوليك المسجونين بسبب رفضهم تأدية قسم الولاة والسيادة، وأحاط نفسه بالعديد من الكاثوليك.

حاول كلٌّ من الإيرل أرجيل التاسع وچيمس دوق مونموث خلع الملك الكاثوليكى بقوة جيشيهما، ولكنه انتصر عليهما، وتعقب جيش الملك فلول الثوار وشنق الأسرى بدون محاكمة. وشكل محكمة برئاسة قاضى قضاته جفريز، ذهبت للمناطق الغربية لتحاكم المتهمين بالثورة والتحريض عليها، **فشنق نحو أربعمائة، وأرسل ثمانمائة للعمل الإجبارى فى مزارع جزر الهند الغربية**، ثم كافأ الملك طاغيته الشرير بتعيينه رئيسًا

لمجلس اللوردات، فباعد بين النبلاء والملك، وطلب من البرلمان إلغاء قانون الاختبار (الذى يمنع تعيين الكاثوليك فى الوظائف ومقاعد البرلمان).

فامتنع البرلمان، فعطله الملك، وأخذ يعين الكاثوليك فى وظائف الدولة والمناصب، وعطل العقوبات على حضور العبادة الكاثوليكية، وأرسل للبابا انوسنت الحادى عشر يعده بقرب رجوع انجلترا للانضواء تحت راية كنيسة روما.

ثم بلغ السيل الزبى عندما أصبح لكل من البروتستانت والكاثوليك كنيسة تساندها الدولة.

قرر زعماء البروتستانت دعوة وليم أمير أورنج، صهر چيمس والوريث الثانى للعرش [زوج ابنة چيمس البروتستانتية] أن يأتى إلى لندن من هولندا ليخلف چيمس، فجاء بأسطوله، وتخاذل جيش چيمس عن حمايته، فأحس بأن قوى الشعب تلفظه، أسرع رجال الدين الإنجليكيون إلى التصالح مع المشيخيين والپيوريتانز والكويكرز(الأصحاب) لرفض التسامح مع عدوهم (الكاثوليك)، فنبذ الجميع الملك. فهرب إلى فرنسا مع زوجته الكاثوليكية، لتنتهى بذلك ملكية عائلة ستيوارت، وتولى وليم الملك فى عام ١٦٨٩م، لتستقر البروتستانتية بصورة نهائية ديانة انجلترا.

***

obeikandl.com

ثانياً

من هجرة البيوريتانز إلى الثورة الأمريكية و وضع الدستور الأمريكى

(مطلع القرن السابع عشر إلى ١٧٨٧م)

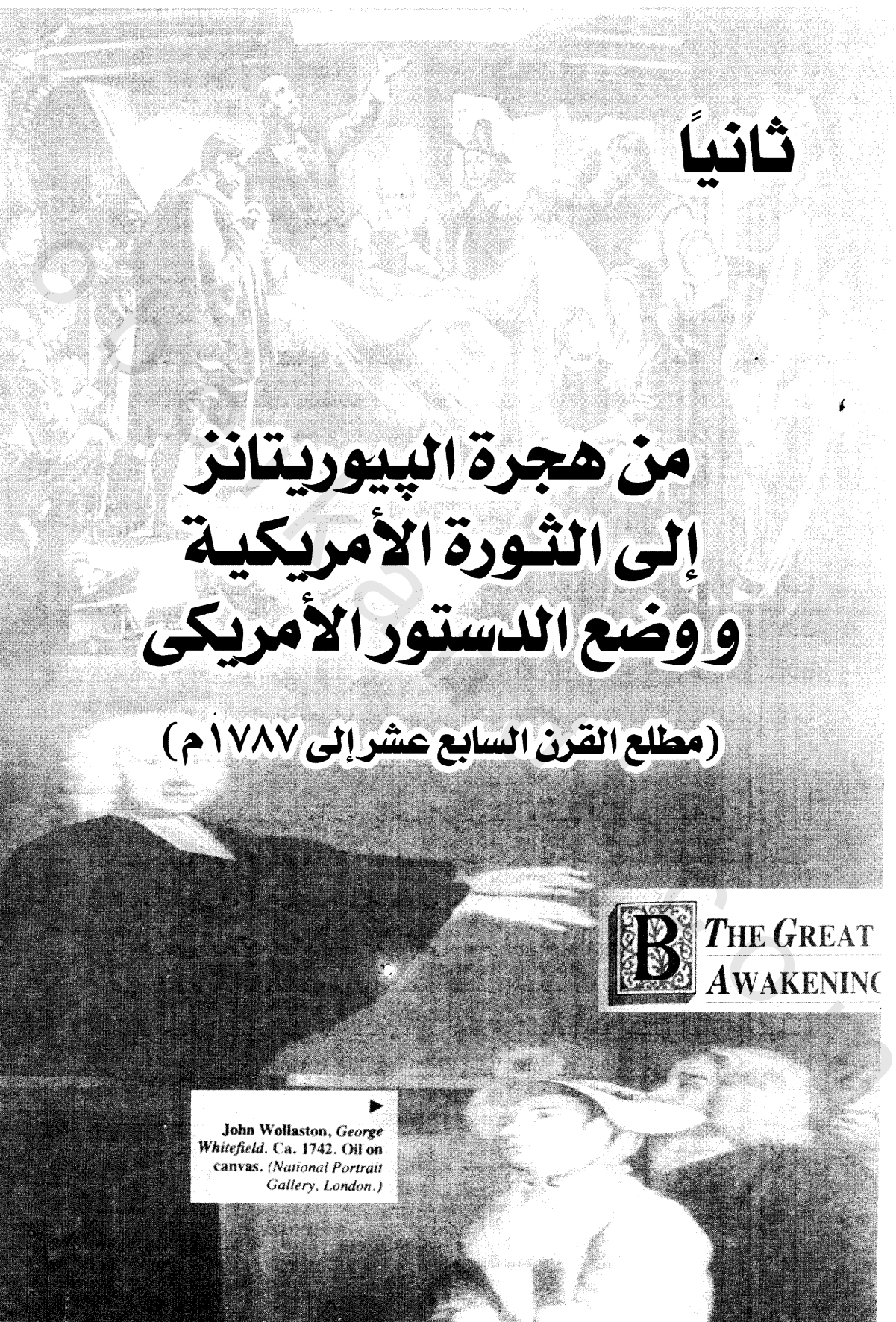

B THE GREAT AWAKENING

▶ John Wollaston, *George Whitefield*. Ca. 1742. Oil on canvas. *(National Portrait Gallery, London.)*

هجرة البيوريتانز إلى أمريكا

قامت الهجرة الإنجليزية والهجرة عمومًا إلى أمريكا للبحث عن فرصة جديدة فى الحياة للنجاح والاستقرار . . سواء كان ذلك من ناحية الرزق والعمل، المال والثروة، من جانب الأفراد والشركات والدول، أو من ناحية الحياة الدينية الجديدة، حيث يمكن لكل امرئ أن يعبد الله بالطريقة التى يراها مناسبة .

ولنقرأ من مرجعنا الأساسى «قصة الحضارة»[1] ما ذكره ول ديورانت تحت عنوان :

[الملكة] إليزابث وإسپانيا

. . . وحانت لحظة مباركة ابتسم فيها الحظ السعيد للملكة . ذلك أن القراصنة الإنجليز ساقوا فى ديسمبر ١٥٨٨م إلى موانى القنال الإنجليزى عدة سفن إسپانية كانت تحمل ١٥٠,٠٠٠ جنيه لدفع رواتب جنود دوق ألفا فى الأراضى الوطيئة، سألت الأسقف «چول ـ Jewel» : هل لها حق فى الاموال الإسپانية؟ فحكم بأن الرب، وهو پروتستانتى قطعًا، يسره أن يرى البابويين يُسلبون .

وأثرت إسپانيا ثراء واسعًا بفضل كولومبس والبابا إسكندر السادس وقرارات التحكيم التى أصدرها (١٤٩٣) والتى منحت وطنه إسپانيا كل الأمريكتين تقريبًا . وبهذه الرحلات والمراسيم لم يعد البحر المتوسط مركز حضارة الرجل [الأوروپى] وقوته، وبدأ عصر الأطلنطى . ومن بين دول أوروپا العظمى الثلاث المطلة على المحيط، كانت فرنسا مغلولة اليدين بسبب الحرب الأهلية فلم تشارك فى الصراع الدائر حول السيادة على المحيطات، أما انجلترا وإسپانيا فقد استمر الصراع بينهما، صارت كلٌّ منهما تمتد نحو الأرض الموعودة مثل الصخرة الناتئة فى البحر . وبدا من

(١) ج ٢٨ ـ ص ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٤، ٥٥ .

العسير زحزحة إسپانيا عن مكان الصدارة والغلبة فى أمريكا، فما وافت ١٥٨٠م حتى كان لها مئات المستعمرات، على حين لم يكن لانجلترا شىء قط. وتدفقت الثروات الهائلة من مناجم المكسيك وپيرو إلى إسپانيا، وبدا قدراً محتوماً أن تحكم إسپانيا نصف الكرة الغربى، وتدخل الأمريكتين فى نطاق كيانها السياسى والدينى.

وكان لهزيمة الأرمادا أثرها على كل شىء تقريباً فى أوروپا الحديثة، فكانت بداية تغيير حاسم فى تكتيك البحرية. وساعد ضعف إسپانيا الهولنديين على نيل استقلالهم، وارتقى بهنرى الرابع إلى عرش فرنسا، وفتح أمريكا الشمالية أمام المستعمرات الإنجليزية. وبقت البروتستانتية وقوت. تضاءل شأن الكثلكة. وكف چيمس السادس ملك اسكتلنده عن مصادقة البابوات ومجاملتهم.

. . . ويكاد رالى أن يكون رجل عصر إليزابث الكامل: سيد مهذب، جندى، ملاح، مغامر، شاعر، فيلسوف، خطيب، مؤرخ، شهيد، فكان «الرجل العالمى» الذى صورته أحلام النهضة الأوروپية، والذى جمع العبقرية من أطرافها. . . ولابتهاجها بقوامه ومديحه لها وتملقه إياه وذكائه، أصغت إليه فى شك أقل مما اعتادت أن تنظر أو تسمع به إلى الناس، **عندما اقترح عليها إنشاء مستعمرات انجليزية فى أمريكا، ومنحته امتيازاً بذلك، وفى ١٥٨٤م أرسل - ولكنه لم يصحب - أول حملة من عدة حملات، وحاولت تأسيس مستعمرة فى ڤيرچينيا، ولكنها أخفقت، وبقى الاسم تذكاراً خالداً لعدم وصول الملكة إلى مبتغاها.**

چيمس تاون - ڤيرچينيا

حصلت شركة ڤيرچينيا على تفويض من الملك چيمس الأول بإنشاء مستوطنة بين خطى عرض ٣٨, ٤٥ على الساحل الشرقى لأمريكا، فى المنطقة المسماة ڤيرچينيا، للبحث عن الذهب والفضة وما إلى ذلك، مما جلبه الإسپان من العالم الجديد.

أرسلت الشركة حوالى مائة من المغامرين المهرة الأقوياء، فرست سفنهم الثلاث فى ٢٤ مايو فى خليج تشيزاپيك. لم يجدوا لا ذهباً ولا فضة، ولكنهم زرعوا الأرض

واصطادوا من البر و البحر، وكونوا مستعمرة تعيش على الزراعة والصيد، وبنوا منازلهم من أشجار الغابات البكر، وبنوا كنيستهم. وبدأوا تصدير الدخان إلى انجلترا.

توافد المهاجرون، وكوّنوا مجلسًا تشريعيًا من حاكم وستة من أعضاء الكنيسة، ومقابلهم اثنان من الأهالى، اجتمع لأول مرة فى كنيسة چيمس تاون.

ماساشو ستس ـ نيوإنجلاند

من ميثاق زهرة مايو إلى الدولة الدينية

فى الحادى عشر من نوڤمبر ١٦٢٠م، نزل إلى الساحل الشرقى شمال چيمس تاون بحوالى ١٠٠٠كم جماعة من المهاجرين الذين أطلق عليهم الحجاج.

جاءوا بزوجاتهم وأطفالهم على متن سفينة صغيرة، قطعت بهم المحيط فى أكثر من شهرين، جاءوا فرارًا بدينهم... فهم البيوريتانز المضطهدون الذين رأوا فى كنيسة انجلترا انحرافًا عن المسيحية الصحيحة.. وفقدوا الأمل فى إصلاحها من الداخل...

وعلى متن سفينتهم، أبرموا ميثاقهم المشهور بميثاق زهرة مايو ـ May Flower[1]

من ميثاق زهرة مايو إلى صهيون فى البرية

ذلك ما تواثق عليه ركاب السفينة «زهرة مايو ـ May Flower». قبل وصولهم شتاء ١٦٢٠ إلى ما عُرف بعد باسم: كيب كود ـ ماساشوستس، أو نيوإنجلاند.

كان هؤلاء البيوريتانز كالڤينيين، فتمثلوا حكومة كالڤين الدينية فى چينيڤ، ومن ثم تتابعت عليهم أمواج الهجرة البيوريتانية من انجلترا، لا فرادى ولا عائلات، وإنما مجتمعات بأكملها، حتى إن بعض قرى انجلترا خلت من نصف سكانها، جاءت إلى پلايموث ثم إلى سالم، التى وصلها فى عام ١٦٣٠م «چون وينثروپ» فى أسطول من إحدى عشرة سفينة حملت تسعمائة مستوطن، وما إن حل عام ١٦٤٠م حتى كان هناك أكثر من عشرين ألف مهاجر، أو حاج پيوريتانى من انجلترا.

(١) راجع الميثاق فى صفحة ٨٩، ٩٠.

بنى المهاجرون ميناء بوسطن، وأنشئوا جامعة هارڤارد[1].

عين المهاجرون، أو الحجاج البيوريتانز، وينثروپ حاكمًا على ماساشوستس.

نظر البيوريتانز لأنفسهم على أنهم الشعب المختار الجديد، ونظروا إلى العالم الجديد على أنه إسرائيل الجديدة، أما العالم القديم بالنسبة لهم، فكان هو مصر التى فروا منها. لقد عقدوا عهدًا مع الرب: إذا أمَّن الرب ذهابهم إلى العالم الجديد، فإنهم سيؤسسون مجتمعًا تحكمه القوانين الإلهية.

«لقد شبه چون وينثروپ المستعمرة بمدينة فوق التل (أى مدينة فاضلة، طبقًا لمجاز الكتاب المقدس تتجه إليها أنظار العالم). واعتبر البيوريتانز أنفسهم مثالاً يُحتذى به العالم، واستمر هذا النوع من التفكير فى الولايات المتحدة، إذ إن الأمريكيين غالبًا ما يرون أنفسهم مكلفين بمهمة خاصة، وهى أن يكونوا مثالا يحتذى به فى سائر أنحاء العالم»[2].

. . . ووفقًا للعهد البيوريتانى، يقوم أعضاء الكنيسة بانتخاب الحكومة. . . ومع ذلك فقد كان يُسمح فقط لأعضاء الكنيسة المتمتعين بالعضوية الكاملة بانتخاب الحكومة، وكانوا هؤلاء الأعضاء يشكلون نسبة صغيرة من إجمالى السكان، الخمس أو ربما أقل.

لم يكن البيوريتانز يؤمنون بالتسامح الدينى، بل على العكس رفضوا تلك الفكرة تمامًا. . .

---

(١) حمل البيوريتانز معهم إلى شمال أمريكا اللغة العبرية، وطبعوا «سفر المزامير» [من العهد القديم فى الكتاب المقدس] كأول كتاب ينشر فى العالم الجديد، وأسسوا جامعة هارڤارد بتبرع من الممول چون هارڤارد، وجعلوا أحد شروط القبول بالجامعة القدرة على الترجمة من النص العبرى الأصلى للتوراة إلى اللاتينية.

(٢) «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» ـ مايكل وچوليا كوربت، مكتبة الشروق الدولية، الجزء الأول، صفحة ٤٤.

وعلى القارئ أن يأخذ فى الاعتبار مرة أخرى إطار عمل البيوريتانز، فهم يعتبرون أنفسهم الشعب المختار الجديد فى إسرائيل الجديدة، وقد عاهدوا الرب على أن يقيموا المؤسسات الدينية والسياسية وفقًا للقانون الإلهى.

. . ولكن كما وصفنا فى المقدمة، فإن بعض التحول فى الرؤية البيوريتانية ـ التى تربط النظام الاجتماعى السليم بالدين السليم ـ قد بدأ فى الظهور فى أغلب مؤسسات الدين كما ستترى فى الفصل الرابع، **فإن كثيرًا من هذه الرؤى قد وجدت فى تسعينيات القرن العشرين طريقها إلى فكر «اليمين المسيحى الجديد»**(١).

تشدد البيوريتانز، وفرضوا قيوداً صارمة على الشعب، سواء فى المعتقد أو فى العمل. . . أعدموا عشرات السحرة، رجالاً ونساءً، وسجنوا المئات منهم، بتروا آذان الكويكرز (الأصحاب)، وثقبوا ألسنتهم بالحديد الساخن، ونفوهم، ولما لم يجد كل ذلك أعدموا أربعة منهم بين عامى ١٦٥٩ و ١٦٦١م، حتى تدخل الملك شارلز الثانى فى عام ١٦٦١م وحرم ذلك.

وقد أفلح ناثانيل وارد (١٦٤٧ ـ ١٦٩٧م) المتحدث باسم حكومة نيو إنجلاند البيوريتانية فى تصويرهم عندما قال:

«أتكفل باعتبارى الناطق بلسان نيو إنجلاند بأن أعلن للعالم باسم مستعمرتنا، أن جميع الفاميليست ومخالفى الشريعة، والمعمدانيين، وغيرهم من المتحمسين(٢)، ستكون لهم الحرية التامة فى أن يظلوا بعيداً عنا، على أن يتم ذلك بأسرع وقت ممكن؛ لأن ذلك سيكون من الأفضل للجميع»(٣).

مستعمرة رود أيلاند

وصل القس البيوريتانى روجر ويليامز إلى بوسطن مهاجراً من انجلترا عام ١٦٣١م. خالف ويليامز الحكومة الدينية فى ثلاثة أمور:

---

(١) المرجع السابق صفحة ٤٦، ٤٧، ٤٨.

(٢) كل أولئك طوائف بروتستانتية.

(٣) المرجع السابق صفحة ٤٧.

أولاً: رأى أنه يجب فصل الكنيسة عن الدولة من أجل تطهير الكنيسة وضمان استقلالها وحريتها. ثانيًا: أراد الانفصال تمامًا عن كنيسة انجلترا. وثالثًا: اعترض على قيام البيوريتانز بالاستيلاء الجبرى على أراضى السكان الأصليين[الهنود]، دون الاتفاق معهم أو تعويضهم.

أصدرت الحكومة أمرًا بالقبض على ويليامز لترحيله إلى انجلترا، ولكنه هرب، واشترى بعض الأراضى من الهنود، وأسس عليها المستعمرة الصغيرة رود أيلاند. طبق ويليامز معتقداته فى المستعمرة الجديدة، فلم ينشئ كنيسة رسمية، وبسبب الحرية الدينية أصبحت المستعمرة تتمتع بالتنوع فيما يتعلق بالمعتقدات الدينية البروتستانتية. وبعد ذلك جاء الكاثوليك واليهود.

كان ويليامز - حسب الزوجين كوربت - يسعى لتحقيق پيوريتانية أكثر تطهرًا من تلك الموجودة بمستعمرة خليج ماسا شوستس، وهو أول من استخدم استعارة الحائط الفاصل بين الكنيسة والدولة، وكان هدفه حماية الكنيسة من فساد العالم. . وكما أوضحنا فى المقدمة، فإن إحدى حجج الفصل القانونى بين الكنيسة والدولة، هى حماية الدين من تدخل الحكومة - [صفحة ٥٢، ٥٣ من كتاب الدين والسياسة فى الولايات المتحدة].

مستعمرات الوسط الأمريكى

طبقت كل من مستعمرتى نيوهامپشير وكونكتيكت نمط نيو إنجلاند. بينما أسس ويليام بن مستعمرة بنسيلڤانيا، وعمل على فرض آراء الكويكرز (الأصحاب) فيما يتعلق بالمعايير الأخلاقية، ولكنه آمن بالتسامح الدينى والخلاص الفردى، وليس عن طريق الكنيسة الرسمية.

أما فى ولايات الوسط والجنوب، فقد كانت هناك تعددية پروتستانتية.

ڤيرچينيا

كانت أول مستعمرة بريطانية فى أمريكا عام١٦٠٧م، وقد قامت لتحقيق الربح للإمبراطورية البريطانية، و زيادة الانتشار لكنيسة انجلترا الإنجليكية.

وطبقًا للزوجين كوربت، فبعد صدور «قانون التسامح» فى بريطانيا عام ١٦٨٩م، زاد التنوع البروتستانتى. وفى القرن الثامن عشر، بدأ المعمدانيون والمشيخيون والميثوديون فى التدفق على ڤيرچينيا، وبسبب الاضطهاد الذى نجم عن ذلك، ساهمت ڤيرچينيا فى ظهور رجال مثل چيفرسون وماديسون، الذين أيدوا بشدة الحرية الدينية.

وقد كان فى كلٍّ من كارولينا الشمالية وكارولينا الجنوبية كنيسة أنجليكانية ضعيفة، وقد باءت بالفشل جهود جعلها كنيسة رسمية.

تأسست آخر المستعمرات البريطانية، چورچيا، عام ١٧٣٧م، وكانت كنيستها الرسمية هى الكنيسة الإنجليكية، ولكنها كانت ضعيفة.

مارى لاند الكاثوليكية

أسس اللورد بالتيمور مستعمرة كاثوليكية بعد أن حصل على مباركة ملك انجلترا الكاثوليكى فى ذلك الوقت الملك شارل، ولكن بعد إعدام الملك، زاد عدد البروتستانت على عدد الكاثوليك، واستبعدوهم من المناصب العامة، وبعد ثورة ١٦٨٨م، أصبحت مارى لاند تابعة للملك، وبالتالى أصبحت كنيسة انجلترا هى كنيستها الرسمية.

المستعمرات الثلاث عشرة الأصلية
التي حاربت إنجلترا سنة ١٧٧٦

obeikandl.com

خفوت البيوريتانية

كما خفت الحماس للحكومة الدينية لكالڤين فى چينيڤ، خفت الحماس للبيوريتانية فى نيوإنجلاند، خاصة بعد صدور «قانون التسامح»[1] فى بريطانيا الأم عام ١٦٨٩م، والذى يكفل حرية العبادة إلا للكاثوليك والموحدين(طائفة مسيحية)[2].

ولكن طبقًا للزوجين كوربت فى كتابهما «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة»، بقيت من معتقدات البيوريتانية ما كان له الأثر على الثقافة والتطور الدينى والسياسى لأمريكا:

- العهد اللاهوتى [بين الله ونبى الله إبراهيم، وأبنائه من بعده]، والعقد الاجتماعى.

- المدينة الفاضلة والقدر الأمريكى.

جاء البيوريتانز إلى العالم الجديد وهم يعتقدون أنهم الشعب المختار المكلف برسالة، والعالم الجديد هو إسرائيل الجديدة، والعالم القديم [انجلترا] هو مصر الجديدة. ولقد عاهد البيوريتانز عهدًا مع الرب ومع بعضهم البعض على بناء مجتمع يقوم على أساس القانون الإلهى. واليوم يعتقد كثير من الناس فى الولايات المتحدة بأن بلدهم مكلف بمهمة خاصة. ويشعر كثير من الأمريكيين بأن الولايات المتحدة هى البلد المختار الذى أسبغ عليه الرب نعمته. وقد برزت هذه الرؤية - على سبيل المثال - فى خطاب الرئيس كلينتون الافتتاحى سنة ١٩٩٧م حينما قال: استرشادًا بالرؤية القديمة لأرض الميعاد، دعونا نوجه أبصارنا إلى أرض ميعاد جديدة.

---

(1) Tolerance Act: members of all religious orders except Catholics and Unitarians permitted freedom of worship - Introdnction To Comparative Government, Second Edition - Curtis Harper Collins pg. 30.

(٢) وفى كتاب الفيلسوف الإنجليزى الشهير چون لوك، والذى صدر فى آخر القرن السابع عشر «رسالة فى التسامح» استثنى من ذلك التسامح: أولئك الذين يتبعون رئيسًا فى الخارج (الكاثوليك)، واليهود. فكان يقصد التسامح بين طوائف البروتستانت.

الخطيئة الأولى والحكومة المحدودة [الصلاحيات]

آمن البيوريتانز بأن الخطيئة الأولى وفساد البشر هما واقع الحياة. وقد وجدت هذه الرؤية السلبية للطبيعة البشرية طريقها إلى الثقافة السياسية للحياة الأمريكية...

... إلا أن واضعى الدستور قد تأثروا بها، وقد وجِّه مؤخرًا انتقادٌ للتعارض الموجود فى الحكومة الأمريكية... والشروط المسبقة لهذا التعارض وضعها المؤسسون الأوائل عمدًا فى الإطار الدستورى وفقًا للرؤية السلبية للطبيعة البشرية، فقد شكلوا حكومة مقيدة بقيود وضوابط وفصل بين السلطات. فلم يؤمن المؤسسون الأوائل بديمقراطية جامحة بدون حدود.

الصحوة الدينية الكبرى

بعد أن خبت سيادة المذهب البيوريتانى، جاءت الصحوة الكبرى.

كانت الصحوة الكبرى، هى إحياء دينى للكالفينية والإيڤانجليكية[1] فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن الثامن عشر.

كانت حركة واسعة بمعنى أنها حاولت أن تضم إلى الكنيسة أناسًا لم يكن يُسمح لهم بذلك بمقتضى المعايير البيوريتانية القديمة، ونجحت الحركة فى تحقيق ذلك.

كان من أهم من دعاة الصحوة جوناثان إدواردز (١٧٠٣ ـ ١٧٥٨م) وجورج وايتفيلد (١٧١٤ ـ ١٧٧٠م)

وكان تأثير إدواردز الأساسى فى السياسة، هو ربط آمال «العصر الألفى السعيد» الناتجة عن الصحوة الكبرى، بالقومية الأمريكية.

يستخلص كوينج أن ارتفاع نسبة الإيڤانجليكيين بين سكان المستعمرات، كان له التأثير الحاسم فى الثورة الأمريكية، وتقنين الحرية الدينية[2].

---

(١) الإيڤانجليكى: هو من يؤمن بأن الكتاب المقدس من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا هو كلمة الله الصحيحة المعصومة من الخطأ، والتى تفسر حرفيًا، والتى ينبغى اتباعها فى مجال الإيمان والعمل.

(٢) «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» ـ صفحة ٥٩.

ويرى آل كوربت أن هناك ثلاثة عوامل رئيسية أسهمت فى إحداث التوتر بين بريطانيا العظمى والثلاث عشرة مستعمرة بأمريكا الشمالية . . حتى أعلنت المستعمرات الاستقلال وقامت بحربها الثورية من أجله .

أول العوامل : كان سياسيّا ، وهو الشعور المتزايد لدى سكان المستعمرات بقدرتهم على حكم أنفسهم ، دون الحاجة إلى الفوائد ولا القيود من جانب حكومة ليس لديهم سلطة فيها . ثم العامل الاقتصادى ، والذى رأى فيه سكان المستعمرات نزيفًا لصالح بريطانيا .

أما العامل الدينى ، فهو أولاً خوف سكان المستعمرات من أن تعين انجلترا أسقفًا إنجليكيّا[1] للمستعمرات ، مما يعنى أن هجرتهم من كنيسة انجلترا أسفرت عن هجرة كنيسة انجلترا وراءهم .

وثالثهما : أن حكومة انجلترا أصدرت قانونًا عام ١٧٧٤م ، منح سكان كويبك الكاثوليك [فى كندا] بعض ميزات الحكم الذاتى [مثل جمع الضرائب من أجل المدارس] ، مما جعل سكان المستعمرات ـ المعادين للكاثوليكية ـ يرون فى ذلك خطر تأسيس كنيسة كاثوليكية .

ويرى كليفورد لونجلى فى كتاب « الشعب المختار » أن إلغاء مرسوم الاختبار[2] فى كندا ، كان من الأسباب التى أسهمت فى الحرب الثورية الأمريكية ضد البريطانيين .

ثم أضاف لونجلى نقلاً عن دائرة المعارف البريطانية : كان الكونجرس القارى [كونجرس المستعمرات الثلاث عشرة] الذى اجتمع فى سبتمبر ١٧٧٤م ، قد عبر عن غضبه الشديد ؛ لأن البرلمان البريطانى ما كان يجب أن يوافق أبدًا على أن يؤسس فى هذه البلاد [أى كويبك] ديانة أغرقت جزيرتكم فى الدماء . ـ [صفحة ٧٢ ، ٧٣ من الجزء الأول] .

---

(١) تابع لكنيسة انجلترا .

(٢) الاختبار بمعنى منع الكاثوليكى من التعيين .

كان التيار الرئيسى فى الكاثوليكية يتبع البابا ورجال الكنيسة، وأصبح التيار الرئيسى فى البروتستانتية الصاعدة ـ يتبع كلمات الكتاب المقدس حرفيّا.

ظهر بين البروتستانت تيار يدعو لإعمال العقل، خاصة عندما يتأمل فى الصراع الدموى بين الكاثوليكية والبروتستانتية، وادعاء كل جانب صحة معتقداته، وفساد معتقدات الآخر.

كذلك أسهمت فلسفة التنوير فى أوروبا، مع ذلك الدين العقلانى، أو الاتجاه العقلانى فى فهم الدين، لما أصبح المسيحية المستنيرة. وقد وصفها آل كوربت بالخصائص السبع الآتية:

١ـ دور البشر فى تخليص أنفسهم من الخطيئة، مع رفض فكرة القدر المسبق.

٢ـ ضرورة تبسيط المعتقدات المسيحية.

٣ـ ضرورة تعاون الناس على البر والتقوى.

٤ـ لم تعط اهتمامًا كبيرًا للأسرار المقدسة.

٥ـ ركزت على المنطق والعقل، وقللت من تأثير الظروف المحيطة بالإنسان على عمله.

٦ـ اهتمت بتقدم الإنسان دينيّا ودنيويّا.

٧ـ رأت الله سلطة مختلفة عن البشر، تحكم الكون بقوانين الطبيعة، وليس إلهًا له طبيعة بشرية.

ثم يعلق آل كوربت فى كتابهما «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة»:

ولكن القوة الدافعة للدين العقلانى لم تكن وحدها تكفى لإشعال الثورة على الحكومة الإنجليزية. لقد كان هناك توافق ما بين الدين العقلانى، والتقوى البروتستانتية، والإيقانجليكية، وحدت تلك المذاهب قواتها مؤقتًا من أجل الثورة، ونظر العديد من البروتستانت التقاة إلى الانفصال عن بريطانيا كخطوة نحو خلق نظام اجتماعى أفضل، يمكن من خلاله التقدم تدريجيّا لتحقيق مملكة الرب على الأرض.

الربوبيون

ظهر الربوبيون فى انجلترا، وأوروبا بصفة عامة، وأمريكا، بعد الحروب الدينية، وبعد انطلاق الاكتشافات العلمية. . لم تكن لهم نفس المعتقدات. . وهم بكلمات ديورانت: بين الطبقات المتعلمة، التمس الشك حلاً وسطًا فى التوحيد ـ الدين الطبيعى ـ والربوبية.

ارتاب التوحيديون فى المساواة بين المسيح والأب، ولكنهم عادة ارتضوا الكتاب المقدس نصوصًا إلهية. أما الربوبيون فإنهم طالبوا فقط بالإيمان بالله، الذى اعتبروه مفهوما تجريديّا غير مشخص.

وحسب آل كوربت:

- يؤمن الربوبيون بإله خالق للكون.
- يطلقون عليه أحيانًا الرب، ولكن فى كثير من الأحوال يُشار إليه بألفاظ مثل «الخالق» أو «رب الطبيعة» أو «حاكم الكون». . أو غير ذلك.
- تتجاوز طبيعة هذا المعبود قدرة البشر على الإدراك.
- يحكم هذا المعبود من خلال قوانين الطبيعة.

وتحت عنوان« الثورة ترتدى عباءة الدين» قالا:

استغل الوطنيون الجاذبية الدينية لإعطاء الثورة الهوية الدينية. وعادة ما غُلفت مبررات الحرب بالأسباب والتصورات الدينية. ومرة أخرى، قياسًا على وصف الكتاب المقدس لهروب اليهود من مصر باحثين عن الأرض الجديدة التى وعدهم الرب بها، أصبحت الأمة الجديدة هى إسرائيل الجديدة، وأصبحت بريطانيا هى مصر الجديدة. وقدم الجانب التقوى للائتلاف الثورى الحماس الدينى، بينما قدم الجانب العقلانى أساسًا منطقيّا فكريّا، إلا أن طرفى الائتلاف صاغا الجهد الثورى فى لغة دينية ـ [الاقتباس من صفحات ٧٠، ٧١، ٧٢].

أما كليفورد لونجلى فى كتابه «الشعب المختار»، فقد قال:

obeikandl.com

وكان الكتاب المقدس فى الحقيقة هو كتاب الثوريين فى المستعمرات الأمريكية عندما اتسع النزاع مع البريطانيين حتى وصل إلى نقطة اللاعودة. ولم يتضح هذا على نحو أفضل من اجتماع الكونجرس القارى الأول، والذى اجتمع فى سبتمبر ١٧٧٤م عندما باتت الحرب مع انجلترا وشيكة. وعندما وصلت أنباء قصف المدفعية البريطانية لبوسطن إلى فيلادلفيا، قام قس أسقفى إنجليكى، هو المبجل يعقوب دويتشى، بقيادة المجلس فى الصلاة. ولم يكن من طائفة البيوريتانز، والواقع أن هذا كان أحد الأسباب فى أن مندوب نيوإنجلاند، سام آدامز، اقترحه هو لقيادة الصلاة، رمزًا للوحدة فى وقت فريد فى الأزمة. ولكن النص الذى اختار أن يقرأه، والكلمات التى قالها عقب ذلك، يمكن فهمها بوضوح على أنها تجنيد للكتاب المقدس فى صف أمريكا فى الصراع القادم. فهو يضع أمريكا مكان إسرائيل، ويطلب دفاع الرب عن إسرائيل فى العصور القديمة متوسلاً بأنه سبب لكى يدافع عن أمريكا الآن. وبينما كان المندوبون يحنون رءوسهم، وكان المندوب الڤيرچينى چورچ واشنطن يشاهد راكعًا، قرأ دويتشى المزمور الخامس والثلاثين: «خاصم يارب مخاصمى، وحارب الذين يحاربونى. أمسك مجنًا وترسًا وانهض إلى معونتى. واشرع رمحًا وتصد لمطاردى. قل لنفسى خلاصك أنا. ليخز وليخجل الذين يطلبون نفسى. ليرتد إلى الوراء ويخجل المتفكرون بإساءتى ليكونوا مثل ذرات التبن قدام الريح وملاك الرب داحرهم. ليكن طريقهم ظلامًا وزلقًا وملاك الرب طاردهم...».

(هذه هى الإشارة إلى «الملائكة فى الريح» التى عناها چورچ دبليو بوش فى خطابه الافتتاحى الذى أوردنا فقرات منه فيما قبل). وينتهى المزمور بتذكير أن الذين اختارهم الرب لا ينالون مكافآتهم بالنصر على أعدائهم فقط وإنما بالرفاهية؛ ولكن عليهم فى مقابل ذلك أن يبقوا مؤمنين:

«لا تسكت ياسيد، لا تبتعد عنى. استيقظ وانتبه إلى حكمى يا إلهى وسيدى إلى دعواى. اقض لى حسب عدلك يارب يا إلهى فلا يشمتوا بى. لا يقولوا قد ابتلعناه. ليخز وليخجل معًا الفرحون بمصيبتى. ليلبس الخزى والخجل المتعظمون علىّ. ليهتف ويفرح المبتغون حقى وليقولوا دائمًا ليتعظم الرب المسرور بسلامة عبده. ولسانى يلهج بعدلك. اليوم كله بحمدك».

وبينما كان البيوريتانز على ألفة بالفعل بأسلوب التبشير الذى يضع نيوإنجلاند مكان إسرائيل، فإن الإنجليكيين الكثيرين الحاضرين لا بد أنهم كانوا أكثر ألفة مع العادة التقليدية فى صلاة القداس فى رؤية كنيسة انجلترا - أو انجلترا فى جانبها الروحى - كما لو كانت **تحل محل بنى إسرائيل. وقد حدث فى افتتاح الكونجرس القارى سنة ١٧٧٤م، وبتلك القراءة والصلاة التى أعقبتها، أن أمريكا قدمت نفسها بصورة رسمية فى مكان بنى إسرائيل، وبذلك تطرد انجلترا من هذا المكان وتدعم الزعم البيوريتانى فى هذا الشأن بحيث يضم المستعمرات الثلاث عشرة جميعًا. وقد كان ذلك الامتياز هو حجر الزاوية الذى شيد أمريكا على فهم محدد لأغراض الرب. ومنذ ذلك الحين فصاعدًا لم يعد الشعب المختار هم اليهود، ولا الكاثوليك، ولا الإنجليز، ولا سكان نيو إنجلاند فقط، ولكن كل الأمريكيين. ومنذ ذلك الحين فصاعدا «الكينونة الأمريكية»، مثل أن تكون يهوديًا أو مسيحيًا، كانت تعنى أن تحوز مكانة دينية متمايزة بوصفك واحدًا من المختارين. [صفحة ٨١، ٨٢].**

ثم يقدم آل كوربت نبذًا مختصرة عن المؤسسين الأوائل، أو آباء الدستور، أو حتى الفلاحين، كما يُطلق على زعماء الاستقلال فى أمريكا:

المؤسسون الأوائل

. . . هناك مفتاح مهم يجب ذكره، ألا وهو أن المؤسسين كانوا منخرطين فى السياسة، وهى تتطلب حلولاً وسطًا، بينما هناك ما يكفى من الأسباب للاعتقاد بأن المؤسسين كانوا أصحاب مبادئ سامية، و لكنهم كانوا أيضًا توجههم الأهداف، وعمليين للغاية.

جورج واشنطن (الرئيس الأول من ١٧٨٩ ـ ١٧٩٧)

وجهات نظر جورج واشنطن، قائد جيش الثورة لبضع سنوات وأول رئيس للولايات المتحدة، هى محل تفسيرات متنوعة ومتناقضة، مما جعل البعض يدعى أنه كان مسيحيًا تقليديًا والبعض الآخر يدعى أنه كان ربوبيًا.

فمن ناحية كان واشنطن يذهب إلى الكنيسة بصورة غير منتظمة (أقل من عشر مرات فى العام) وأيد فكرة وجود دين رسمى فى ڤيرچينيا، كما استشهد بالدين بصورة متكررة فى خطبه العامة، وطلب من الجنود حضور القداس الدينى ما لم يكونوا فى نوبة عمل، كما أصدر مرسومًا يجعل من عيد الشكر عيدًا قوميًا. وعلى هذا الأساس يمكن الجزم بأن واشنطن كان مسيحيًا تقليديًا معتدلاً.

ومن الناحية الأخرى، فاستشهاداته بالدين كانت عالمية أكثر منها پروتستانتية، أو حتى مسيحية، وهو نادرًا ما استشهد بالكتاب المقدس، وأشار أحيانا إلى الرب بأسماء مثل حاكم الكون والصانع الأعظم، وفى هذا تشابه مع لغة الربوبية.

أما بخصوص علاقة الكنيسة والدولة، فمن ناحيته أيد واشنطن بوضوح محاولة پاتريك هنرى الفاشلة لاستعادة المؤسسة الدينية الرسمية فى ڤيرچينيا، وطلب من الكونجرس الموافقة على تعيين قساوسة فى الجيش، ونادى بالاحتفال بالأعياد الدينية القديمة، وأكد أن الحكومة لن تؤيد التعصب والاضطهاد.

چون آدامز (الرئيس الثانى من ١٧٩٧ ـ ١٨٠١)

مثل چيفرسون، يمكن وصف چون آدامز ثانى رؤساء الولايات المتحدة كربوبى مسيحى آمن بتعاليم المسيح الأخلاقية ولم يؤمن بألوهيته. وفى ماساشوستس كان آدامز أحد الليبراليين الدينيين ممن انفصلوا عن الإبرشيين التقليديين ليصبحوا موحدين. وآمن أيضًا أن الدين المسيحى هو الأفضل، ولكنه رأى هذا من ناحية دعم الدين للسلوك الأخلاقى. ففى ٢٦ يوليو ١٧٩٦م، أشار فى يومياته إلى أن المسيحية هى دين الحكمة والفضيلة والمساواة والإنسانية، وهذه الصفات تختص بالسمات الإنسانية أكثر من الألوهية أو الخلاص.

وفى يومية ١٤ أغسطس ١٧٩٦م، كتب آدامز أن إحدى مزايا الدين المسيحى العظيمة تتمثل فى قدرته على توصيل مبدأ قانون الطبيعة والأمم إلى الجميع، مثل: أحب لجارك كما تحب لنفسك، وعامل الآخرين كما تحب أن تعامل. ومثل چيفرسون وفرانكلين، أكد آدامز على سلوكيات الناس أكثر من معتقداتهم الدينية.

وفى نفس الوقت، كان آدامز ناقدا لاذعًا لما رآه بمثابة انحراف المسيحية من خلال الدين المؤسساتى (وهذا على الرغم من إيمانه بوجوب ذهاب الناس إلى الكنيسة) وبسبب النزاعات اللاهوتية المستديمة. وفى رسالة موجهة إلى ف. أ. ديركمب بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٨١٦م، أشار آدامز إلى أن هذا الانحراف جعل من الديانتين اليهودية والمسيحية أكثر الديانات دموية على الإطلاق[١]، وأضاف أن العديد من الإنجازات الثقافية قد أسىء استخدامها لخدمة أغراض ممقوتة من الدجل والخرافات.

وآمن آدامز بحرية الدين، وعمل من أجلها. فلم يؤمن بأحقية أى جماعة فى فرض مذاهبها الدينية على الآخرين، ويجب أن يترك العقل البشرى حرًا من المعتقدات الجازمة. وفى رسالته إلى ديڤيد سيوال فى ٢٢ مايو ١٨٢١م، أعرب آدامز عن وجهة نظره فى أن التقدم قد تحقق خلال حياته فى مجالات كثيرة، وتتضمن قائمة هذه المجالات إلغاء الخرافات والاضطهاد والتعصب.

وصرح آدامز فى رسالته إلى بنيامين رش فى ٢٨ أغسطس ١٨١١م بفكرة اعتنقها لفترة طويلة، ألا وهى **أن الدين والفضيلة هما أساس الحكومة الجمهورية، وكل الحكومات الحرة، وأساس السعادة الاجتماعية فى ظل جميع الحكومات. وآمن آدامز إيمانًا قويًا باستخدام الدين لدعم كل من الأخلاقية الفردية ومزية المواطنة. كما آمن أن الدين جعل الناس مسئولين وعلى خلق من ناحية سلوكهم كأفراد فى حياتهم اليومية، ومن ناحية واجباتهم كمواطنين. فبدون الدين كدعامة، لا يمكن أن يكون هناك حكومة جمهورية.**

وذكر المؤرخ الأمريكى والتر أ. مكدوجال فى كتابه «أرض الميعاد والدولة الصليبية»: كان چون آدامز يعتقد أن الكتاب المقدس قدم النظام الوحيد الذى حفظ، وسيحفظ دائمًا، الجمهورية فى العالم[٢].

---

(١) ماذا كان يقول لو شاهد الحربين العالميتين، وما تلاهما من حروب أشعلها المسيحيون واليهود، وخصوصًا ما كان ذلك من أمريكا.

(٢) ترجمة رضا هلال، ونشرته دار الشروق، صفحة ٦٦.

بنيامين فرانكلين

أرسل فرانكلين قبل وفاته بالرسالة الآتية إلى رئيس جامعة يال:

«أنا أؤمن بإله واحد خالق الكون الذى يتولاه بعنايته الإلهية، وهو وحده المستحق للعبادة، وأن أفضل ما نقدمه له هو تقديم الخير لعباده الآخرين. كما أؤمن بأن روح الإنسان خالدة، وسوف تعامل بعدل فى الحياة الأخرى حسب سلوكها فى الحياة الدنيا».

وعبر فرانكلين فى رسالته عن إيمانه بأن نظام الأخلاقيات والدين الذى تركه المسيح هو الأفضل فى العالم، إلا أن البعض تسببوا فى إفساده. وتشكك فى ألوهية المسيح، ولكنه لم يعط تلك المسألة أهمية كبرى. ورأى أن الدين يساعد فى دعم أخلاق المجتمع.

توماس چيفرسون (الرئيس الثالث من ١٨٠١ ـ ١٨٠٩)

وواضع إعلان الاستقلال. كان چيفرسون ربوبيّا على الرغم من إشارته لنفسه فى عديد من المناسبات كموحد أو قائل بإله واحد أو مسيحى عقلانى.

كان مسيحيّا ولكن ليس بالمعنى التقليدى. فقد نسب إلى المسيح كل الفضائل الإنسانية، ورفض ألوهيته، ورأى أن رجال الدين والمؤسسات الدينية حرفوا تعاليم المسيح. ونادى بوجوب قراءة الكتاب المقدس ونقده، حتى يستخلص الناس جواهر الحكمة فيه. وقد انتقى من الكتاب المقدس ما أسماه الكتاب المقدس لچيفرسون، وقد نبذ الجزء الأكبر من الكتاب المقدس، وأبقى ما علم أنه صحيح ونافع.

ولعدم ثقته برجال الدين والمؤسسات الدينية، آمن چيفرسون بحرية الضمير والفصل بين الكنيسة والدولة، وصك المصطلح المشهور «حائط فاصل بين الكنيسة والدولة».

وعلى الرغم من عدم ثقته برجال الدين، ومعارضته لوجود كنيسة رسمية، فقد أيد الدين كداعم للمجتمع والمواطنة، وشاركه هذا الرأى معظم الزعماء السياسيين والدينيين من جميع المذاهب، واهتم بالأفعال أكثر من الأقوال، حتى إنه قال: لو أنه

أراد تأسيس طائفة دينية لكان مبدأها الأساسى عكس الكالفينية ـ التى تقول التبرير بالإيمان وليس بالأفعال ـ فيكون مبدأه التبرير أو الخلاص بالأفعال وليس بالأقوال[1].

بينما يؤكد كليفورد لونجلى فى كتابه «أسطورة الشعب المختار»: **ثلثا الذين وقعوا إعلان الاستقلال، وكذلك ثلثا الذين وقعوا الدستور الأمريكى، كانوا من الإيڤانجليكيين الأمريكيين، الذين كانت حياتهم الدينية قد تشكلت بفعل كتاب الصلوات العامة سنة ١٦٦٢م.**

أما عن توماس چيفرسون، فيقول لونجلى:

يحتفظ قسم المخطوطات فى مكتبة الكونجرس بأوراق تتعلق باقتراح چيفرسون ـ الذى يعد الأكثر علمانية بين الآباء المؤسسين ـ لشعار الدولة الجديدة، حيث أوصى چيفرسون بـ «بنى إسرائيل فى البرية تقودهم سحابة فى النهار، وعمود من النار فى الليل»[2]، ثم تبنى اقتراح فرانكلين باستبدال ذلك بقصة انشقاق البحر الأحمر لبنى إسرائيل الواردة فى الكتاب المقدس.

ثم استأنف لونجلى قائلاً:

وغالبًا ما يتم التعامل مع مذهب الربوبية الذى شاع أواخر القرن الثامن عشر فى أمريكا على أنه السابقة التى خرجت منها العلمانية. وهى غالبا ما تعرف بأنها قيم التنوير، التى تم الأخذ بها فى الديانة العلمانية الجديدة للماسونيين الأحرار التى ينتمى إليها كثير من الآباء المؤسسين. وقد يكون أقرب للحقيقة أن نقول، مع أخذ التجربة الإنجليزية فى الحساب هنا أيضًا، إن مذهب الربوبية قد أفرز مذاهب عديدة ربما يكون أكثرها حظًا فى الاعتراف ليس هى اللا أدرية العلمانية وإنما البروتستانتية المتحررة (فى المذهب الإيڤانجليكى خاصة). كان هذا الفرع من التيار العام للمسيحية هو الأكثر انفتاحًا لاكتشافات البحث النقدى فى الكتاب المقدس، الذى كان آخذا فى الظهور فى ألمانيا بحلول منتصف القرن التاسع عشر، وهى الأرضية التى قام عليها رفض

---

(١) النصوص السابقة مقتبسة من «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة» ـ الجزء الأول من صفحة ٧٥ إلى ٨٢.

(٢) جاء ذلك فى سفر الخروج، وطبقًا لنصوص العهد القديم، فالسحابة وعمود النار هما الهداية الإلهية لبنى إسرائيل.

الدراسات لقصص المعجزات. وكان هذا الفرع من المسيحية الذى واجه أقل قدر من الصعوبة فى تناول أعمال تشارلز داروين، كما أنه كان على أتم الاستعداد للموافقة على أن روايات الخلق فى سفر التكوين خرافات وأساطير.

واللاهوت المتحرر، مثل مذهب الربوبية، يميل صوب التوحيدية (وهو مذهب لطائفة تنكر الثالوث)؛ لأنه لا يستريح لعقيدة أن المسيح هو ابن الله المتجسد. ونوع الديانة التى يستهجنها التحرريون أكثر من غيرها هى الكاثوليكية الرومانية؛ بسبب عقيدتها ومعجزاتها وثقتها، ثم المذهب الإيڤانجليكى المحافظ (والمعروف كذلك باسم الأصولية البروتستانتية) بسبب ثقته فى الكتاب المقدس واعتماده عليه، وإصراره على «قفزة العقيدة» أو تجربة شخصية للخلاص، التى تبدو على النقيض من المبادئ العقلانية. وثمة شىء واحد يمكن أن نكون متأكدين منه هو أن أولئك الآباء المؤسسين لأمريكا والذين أطلق عليهم اسم «الربوبيين»، أيًا كان قدر التبرير، لا بد وأنهم كانوا يتفقون صراحة مع البروتستانت الليبراليين فيما كانوا يكرهونه أكثر من غيره.

وسواء كان چورچ واشنطن ربوبيًا «ناعمًا»، أو لم يكن، فإنه كان على إيمان قوى بالرعاية الإلهية، أى يد الرب الخفية التى توجه شئون الناس صوب صالحهم. وفى خطابه الافتتاحى الأول رئيسًا للولايات المتحدة قال مثل هذا وأكثر:

«سيكون من غير الملائم بتاتًا أن نحذف فى هذا الفعل الرسمى الأول امتنانى الحماسى للرب العظيم الذى يحكم العالم، والذى يرأس مجالس الأمم، والذى يمكن لمساعداته الرعوية أن تعوض كل نقص إنسانى، وأن بركاته قد تكرس لحرية شعب الولايات المتحدة وسعادته، حكومة أسسوها بأنفسهم لهذه الأغراض الأساسية، وقد تساعد كل أداة استخدمت فى إدارتها لإنجاز الوظائف التى تظللها رعايته بنجاح. وتقديم الطاعة والولاء للخالق العظيم الذى خلق كل خير عام وخاص، أؤكد لنفسى أنه يعبر عن عواطفكم مثلما يعبر عن عواطفى، وعواطف الإخوة المواطنين على نطاق واسع. وليس هناك شعب يمكن أن يعترف ويحب يد الرب الخفية التى توجه شئون العالم أكثر من شعب الولايات المتحدة. فكل خطوة تقدموا بها لتحقيق وطن مستقل نبدو أنها كانت متميزة بنوع من الرمز الدال على الرعاية الإلهية، وفى الثورة المهمة التى تم إنجازها بنظام حكومتهم المتحدة، فإن التشاور الهادئ والموافقة الطوعية لهذا العدد

الكبير من الجماعات المتمايزة والتى نتج عنها الحدث، لا يمكن أن يقارن بالوسائل التى تم بها تأسيس معظم الحكومات، دون الرجوع إلى الامتنان الدينى، مع توقع للبركات التى يحملها المستقبل والتى يبدو أن الماضى قد بشَّر بها».

كانت العناية الإلهية أقوى فعلاً من المعجزات. فبدلاً من أن تكون شديدة الندرة ومرتبطة بحوادث معينة، مثلما هى الحال فى الكاثوليكية، فإن مفهوم العناية الإلهية الرحيمة غطى كل شىء تقريبًا. فكل طفرة محظوظة تصبح تدخلاً إلهيًا. هل ساقت الريح السفن الإسپانية إلى الصخور سنة ١٥٨٨ (فى معركة الأرمادا ضد الأسطول الإنجليزى)؟ لقد كان ذلك بفعل العناية الإلهية. هل نجا المستوطنون البيوريتانز الأصليون من أول شتاء؟ كان الفضل فى ذلك للعناية الإلهية. هل قضى الجيش الناشئ [الأمريكى] على قوات الملك [الإنجليزى]؟ لقد كانت العناية الإلهية وراء ذلك. هل عاش جيش واشنطن المهلهل أثناء محنته فى ڤالى فورچ؟ لقد كان هذا أيضًا من فعل العناية الإلهية. وفى لاهوت العناية الإلهية لا يتدخل الرب سوى بهذه الطريقة لصالح العادل والمستقيم. **أو إذا قلبنا المعادلة، يكون الرب جانب الرابح وبهذا يكون «الحق قوة»**[1]. **هذه الاعتقادات مكونات مهمة ليس بالنسبة للرؤية الأصولية للعالم فقط، فهى لم تكن مرفوضة ممن يسمون أنصار مذهب الربوبية فى أمريكا أواخر القرن الثامن عشر، والذين كانوا على قناعة تامة بأن الرب الذى لم يكونوا يعرفونه تمامًا يقف إلى جانب أمريكا. وهذه بطبيعة الحال طريقة إنجليزية خالصة فى النظر إلى الأمر. وإذ كانوا هم الشعب المختار، والرعاية الإلهية إلى جانبهم، فإن هذا كله جزء من الشىء نفسه.**

والجدل الحى فى الولايات المتحدة حول المعتقدات الدينية للآباء المؤسسين ليس فى الحقيقة جدلاً حول الحقيقة التاريخية بحد ذاتها، ولكن حول معركة للسيطرة على الذاكرة الجماعية الأمريكية، فى سبيل السيطرة على طريق أمريكا فى المستقبل على النحو المتصور[2].

---

(١) تلك ترجمة القول الأمريكى المأثور: Might is Right.

(٢) الشعب المختار ـ ط مكتبة الشروق الدولية ـ ص ٣١ ـ ٣٣.

فصل الدولة عن الكنيسة

قاست أوروبا فى العصور الوسطى من استبداد الكنيسة (الكاثوليكية) والدولة(الإمبراطور) سواء فى عصور الاتفاق أو الصراع بين المؤسستين. وقاسى الإنجليز من الكنيسة الإنجليكية، والتى أصبحت مع هنرى الثامن تابعة للدولة، فهو، الملك اللعوب، قد أصبح رأس الكنيسة، وتقلب هو والملوك من بعده بمعتقداتهم وأهوائهم على الكنيسة، فزاد اضطهاد وسجن وإحراق المخالفين الهراطقة، من الكاثوليك والپروتستانت على التعاقب وبالتبادل، ثم البيوريتانز.

هاجر البيوريتانز من انجلترا لأمريكا فراراً بدينهم. وتعددت الطوائف البروتستانتية فى أمريكا، بيوريتانز، أصحاب(كويكرز) معمدانيون، لوثريون، كالڤينيون، منهجيون، مشيخيون، . . . . وغيرها.

وكان من أسباب الثورة على انجلترا ومحاربتها ثم الاستقلال عنها، الخوف من أن تمد سلطانها الدينى بكنيستها الإنجليكية وأساقفها على المهاجرين، الذين هاجروا بسببها.

كذلك فزع المهاجرون من إلغاء قانون الاختبار فى كوبك ـ كندا، بل أصابهم الذعر من أن يكون ذلك ـ فى هاجسهم ـ ردة للوثنية الكاثوليكية الأولى.

وخلال حرب الاستقلال، لم يتحد كل المهاجرين للقتال ضد انجلترا، فوقف البعض موقفًا سلبيًا من الطرفين، وحارب البعض مع القوات الإنجليزية ضد القوات الأمريكية.

وبعد انتهاء الحرب، كانت انجلترا لا تزال تتربص بالدولة الناشئة، خاصة فى التجارة والبحار، وكان الفرنسيون فى الشمال يمثلون خطراً كاثوليكيًا، والإسپان يمثلون نفس الخطر الكاثوليكى فى الجنوب، وهناك أيضا أصحاب الأرض الأصليون، الهنود. كانت الدولة الناشئة فى أشد الحاجة لتجميع الصفوف ونبذ الخلافات. . .

فإذا اختارت الحكومة كنيسة لتكون «الكنيسة المؤسسة ـ Established Church» فأى كنيسة؟ الإنجليكية أم البيوريتانية؟ أم كنيسة الأصحاب ؟ أم المشيخية؟ أم الميثودية؟ أم المينونيتية؟ أم غير ذلك؟ وعن ماذا سيسفر ذلك ؟

أجاب چيفرسون: ليس ذلك من شأن الدولة.

اجتمع كثير من المتدينين ـ الذين ذاقوا وطأة التعصب تحت الكنيسة الإنجليكية الرسمية ـ والعقلانيين وراء چيمس ماديسون وتوماس چيفرسون لمنع إنشاء الكنيسة المؤسسة فى ڤيرچينيا، وخاضوا فى ذلك معركة ضد پاتريك هنرى، وچورچ واشنطن. وكانت أهم حجج ماديسون:

* لا إكراه فى الدين.

* انتهاك الحرية الدينية ـ بواسطة كنيسة مؤسسة، كما كان يزخر التاريخ الأوروپى والإنجليزى حتى ذلك الوقت ـ يفتح الطريق لانتهاك الحريات الأخرى.

* دعم الدين بواسطة الحكومة، يفسده ويفسد رجاله.

*لا يحتاج الدين المسيحى لدعم الحكومة، فقد عاش وازدهر بدونه، بل وبالرغم من الحكومة فى أوقات كثيرة.

* تؤثر الكنيسة المؤسسة بتحيزاتها على التنمية الاقتصادية فى إحجام المهاجرين المخالفين عن القدوم لأمريكا.

ويعلق آل كوربت على ذلك الوضع قائلين:

لم يمثل تفادى المؤسسين الأوائل للاعتبارات الدينية فى الدستور تأييدًا أو معارضة للقيم الدينية، بل كان مجرد استراتيچية پراجماتية لتفادى إثارة عش دبابير القضايا الدينية.

بينما قال لونجلى: . . إذا كانت الولايات المتحدة ولدت وهى تعتقد أنها شعب الله المختار، فمن الصعب أن نراها فى الوقت نفسه باعتبارها كيانًا علمانيًا تمامًا.

والفصل بين الكنيسة والدولة يسهل بالفعل هذا الدمج للشخصية الدينية والسياسية للوطن الجديد فى كيان واحد. . . . إذ كان مفهوم الدولة العلمانية هو المفهوم الذى يصعب استيعابه فى ذلك العصر.

التعديل الأول:

اجتمع الكونجرس للمرة الأولى بنيويورك فى خريف ١٧٨٩م، وأقر عشرة

تعديلات على الدستور، صيغت فيما يعرف باسم وثيقة الحقوق، يختص أولها بحرية العبادة، ونصه كالتالى:

لا يسن الكونجرس أى قانون ينص على إضفاء صفة الرسمية على دين ما، ولا يمنع حرية ممارسة دين .

هذا نص التعديل الأول على الدستور الأمريكى، والذى بفضله تمتعت طوائف البروتستانت المختلفة بالحرية الدينية . . .

ثم استفاد به الكاثوليك، ومن بعدهم ـ بعقود ـ اليهود، ومن بعدهم ـ بعقود ـ يكافح المسلمون ليتمتعوا بذلك، لا يزعم أحد من الكاثوليك أو اليهود، ولا بالطبع المسلمين بأن حقوقهم الدينية أهديت لهم[1]، ولا أنهم على قدم المساواة التامة مع البروتستانت فى كل أوجه الحياة، حتى اليوم ، حتى وإن قام هناك تحالف بين اليهود و البروتستانت الأصوليين، ازداد وثوقًا مع الثلث الأخير للقرن العشرين، وامتد ليشمل أغلبية الإيڤانجليكيين.

***

(١) . . عارض عديد من أعضاء الوفود ـ للمؤتمر الدستورى ـ السماح للفئات التالية بتولى مناصب عامة، ألا وهى: اليهود والوثنيون والملحدون والكفار والربوبيون و«المحمديون» (المسلمون) والبابويون (الكاثوليك). ـ صفحة ٩٤ «الدين والسياسة فى الولايات المتحدة».

obeikandl.com

ثالثاً

A WESTWARD EXPANSION AND THE AMERICAN MISSION

إمبراطورية الخير

القرن التاسع عشر

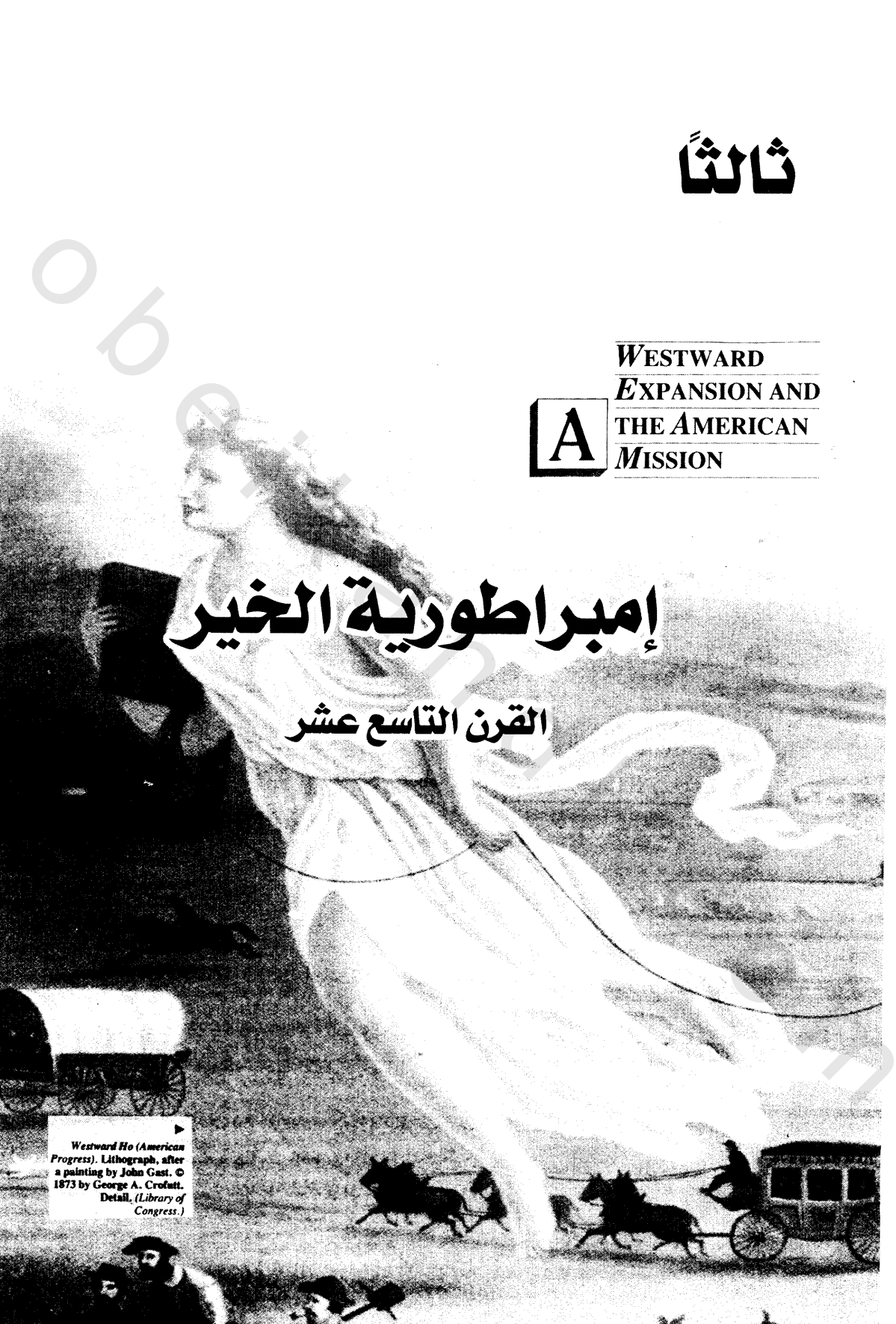

▶ *Westward Ho (American Progress).* Lithograph, after a painting by John Gast. © 1873 by George A. Crofutt. Detail, *(Library of Congress.)*

استخدم آل كوربت فى كتابهما «الدين والسياسية فى الولايات المتحدة» هذا المصطلح كعنوان فرعى للإشارة إلى منظمات وحركات الإصلاح التى جمعت الطاقات الدينية التى انطلقت بسبب الصحوة الكبرى الثانية (من ١٧٩٠م إلى ثلاثينيات القرن التاسع عشر) لتحقيق الإصلاحات الاجتماعية المتعددة.

وكانت العقيدة الأساسية فى ذلك، ربط التقوى الشخصية بالعمل الاجتماعى. اهتمت الطوائف المتعددة بتحسين التعليم ورعاية المرضى، خاصة المعوقين، ومساعدة الفقراء، إصلاح السجون، تهذيب الأخلاق، وطالبت بإلغاء الرق - برغم استناد بعض المؤيدين للرق على الكتاب المقدس لتبريره - والحد من الشرب.

كذلك بدأ نشاط إرساليات التبشير فى الازدهار، محليّا أولاً، ثم فى القرن التاسع عشر، أصبح دوليّا.

ووصلت إمبراطورية الخير إلى ذروتها قبيل منتصف القرن التاسع عشر، وقبيل الحرب الأمريكية الأهلية. وشاركت النساء فى كل تلك العمليات الإصلاحية المصاحبة للصحوة الدينية الكبرى، ومن ثم بدأن يتحدثن عن اكتساب الحق فى التصويت السياسى.

القرن التاسع عشر

يستحق هذا القرن، من الناحية الدينية، أن يُطلق عليه قرن صعود الإيڤانجليكية.

والإيڤانجليكية هى طائفة البروتستانت التى تؤمن بعصمة الكتاب المقدس، أى صحته المطلقة، وأنه يجب تفسيره حرفيّا.

وعلى التوازى مع الإيڤانجليكية، ظهرت «حركة التبشير الاجتماعى»، والتى رأت فى رسالة المسيح أنها رسالة اجتماعية للإصلاح، ومن ثم إصلاح المجتمع هو هدف

رئيسى وليس هدفًا فرعيًا أو ثانويًا، واهتمت بالأعمال الأخلاقية والخيرية أكثر من الاهتمام بتفسير الكتاب المقدس حرفيًا، والدخول فى التفاصيل اللاهوتية المتنوعة. وطبقا لچورچ مارسدن فى كتابه «كيف نفهم الأصولية والإيڤانجليكية؟» جاء ما يلى:

الإمبراطورية الإيڤانجليكية

ترتكز السيطرة الثقافية الواضحة للپروتستانت على قاعدة متينة من العائلات والمؤسسات الأمريكية الأكثر ثراء وعراقة. . . .

وقد كان للمرء أن يتوقع أن تكون أمريكا أرض المثاليات السياسية الليبرالية الثورية قد تبنت بحلول هذه الفترة (القرن التاسع عشر) مذهبًا إنسانيًا معتدلاً، محررًا من العقائد والأعراف المسيحية، الأمر الذى لم يحدث. لقد كانت تهتدى وتتبع زعماء إيڤانجليكيين[1] ملهمين، استطاعوا - بفاعلية - شق قنوات لقوى الإحياء وللمنظمات الدينية التطوعية لموازنة تأثير القوى الخاصة بالتغير العلمانى الخالص.

كانت الطوائف الكبرى تقف فى مركز القلب من الإمبراطورية الإيڤانجليكية، يقودها المنهجيون والمعمدانيون والمشيخيون، وحواريو المسيح، والإبرشيون.

مثلث أعداد ضخمة من المنظمات الإيڤانجليكية وحدة حيوية داخل سياق التنافس الطائفى، بممارساتها فى النشاط الإرسالى، ومدارس الأحد، وتوزيع الكتاب المقدس، والحملات الصليبية الأخلاقية، والأنشطة الاجتماعية، وقامت النساء بدور مهم فى ذلك، خاصة لملء الفراغ الذى يتركه الرجال الذين ذهبوا فى الإرساليات، أو الحروب[2]. وفى الحقيقة، ضاعفت الجماعات البروتستانتية من عدد أعضائها ثلاث مرات بين عامى ١٨٦٠، و١٩٠٠م. وهناك قصة حقيقية مشهورة، إذ أرسل الملحد الأشهر فى أمريكا روبرت أنجرسول إلى تشارلز ماكاب يقول:

---

(١) بدأ فى منتصف القرن الثامن عشر ظهور المبشرين أو الدعاة النجوم، الذين اكتسبوا شعبية طاغية، وازدادت الظاهرة وحميت، من وقتها وحتى اليوم.

(٢) خاضت الولايات المتحدة، فى القرن التاسع عشر الحروب الآتية: حاربت انجلترا ١٨١٢م، ثم المكسك ١٨٤٦م، ثم الحرب الأهلية لمدة ست سنوات فى ستينيات القرن، ثم حاربت الإسپان فى كوبا والفيليپين قبل نهاية القرن، وهذا بالطبع خلاف قتال الهنود الحمر.

الكنائس تحتضر بطول البلاد وعرضها.

فرد عليه ماكاب:

كل المجد للمسيح

نحن نبنى أكثر من كنيسة منهجية كل يوم من أيام العام، ونقترح أن نبنى اثنتين كل يوم!

شاهد القرن أحداثًا كبيرة، منها الحرب الأهلية التى استمرات أكثر من خمس سنوات بين الشمال والجنوب، وراح ضحيتها حوالى ستمائة ألف قتيل، غير الجرحى والخسائر المادية، وكان تعداد أمريكا وقتها أقل من ثلاثين مليونًا، مما يعنى موت رجل من كل عشرة فى سن القتال. وكالعادة اعتبر كل طرف أن الله معه، وأنه يمثل المسيح...

وكان الخلاف الحقيقى هو أسلوب الحياة... اقتصاديًا وماليًا وتجاريًا وصناعيًا.. والجنوب هو الذى بدأ بالحرب بإعلان بعض ولاياته الانفصال، بل وبدأت القصف والهجوم على الوحدات الاتحادية ومبانيها...

وفى تلك الفترة الساخنة، تم اغتيال اثنين من الرؤساء لنكولن فى ١٨٦٥م، وماكنيلى فى١٩٠١م.

كذلك ظهر كتاب داروين «أصل الأنواع» وبه نظرية النشوء والارتقاء عام ١٨٥٩م، فأشعل أزمة صحة الكتاب المقدس بخلافه لنظرية خلق الكون، تبعًا للتفسير الحرفى لسفر التكوين من الكتاب المقدس، الأمر الذى أصاب حجر الزاوية فى البناء الإيڤانجليكى بالاهتزاز[1]، **وإن كان تيارًا پروتستانتيًا آخر، وفق بين نظرية داروين والكتاب المقدس، بل وطبق نظرية داروين على بقاء الأصلح فيما يخص الدين والعرق، مما أضاف ثقلاً جديدًا لنظرية حمل الرجل الأبيض ورسالة الرجل الأبيض،**

(١) قد تكون الولايات المتحدة هى الدولة الوحيدة فى العالم التى صدرت بها قوانين تمنع دراسة نظرية النشوء والارتقاء لداروين، كذلك قد تكون الوحيدة فى العالم التى حبست مدرسًا؛ لأنه قد تجرأ ودرس النظرية فى مطلع القرن العشرين، وكان ذلك فى تنيسى.

وبذلك أضاف بعدًا جديدًا فى تبرير الاستعمار والقضاء على الآخر إذا لزم الأمر.
ويلخص المبجل چوزيا سترونج ذلك، كما جاء فى «أرض الميعاد والدولة الصلبية»:

ولم يقلها أحد أفضل من المبجل چوزيا سترونج الذى مزج الإنجليكانية مع الإنجيل الاجتماعى، والأنجلوساكسونية مع الداروينية الاجتماعية، وحدد كتابه الأكثر مبيعا «بلدنا» فى عام ١٨٨٥م الأمريكيين باعتبارهم:

... عنصرًا ذا طاقة ليس لها مثيل، بكل ضخامة الأعداد وعظمة الثروة وراءها ـ الممثلين ـ دعا نأمل ـ للحرية الأوسع، والمسيحية الأنقى، والحضارة الأعلى ـ ينمون بتميز شمائل فذة، تجذب أعرافها كل البشر، لتنتشر فى كل أرجاء الأرض.. وهل يستطيع أحد أن يشك فى أن هذا العنصر ـ إذا لم يضعف حيويته بالكحول والتبغ ـ فإنه مقدر له أن يتملك عدة أعراق أضعف، ويذيب آخرين، ويعيد تشكيل الباقين، حتى ـ فى معنى حقيقى ومهم جدًا ـ يجعل البشرية أنجلوساكسونية؟

... فظائع الحدود[1] كانت طريق الرب لتدريب العرق على قيادة العالم، وبعد ذلك جاء الدور على المنافسة النهائية بين الأعراق. [صفحة ١٥٦].

وتوازى مع كتاب داروين، الدراسات النقدية الألمانية للكتاب المقدس، ومثَّل كل ذلك صعوبات فكرية جمة للاهوت الإيڤانجليكى خاصة، والپروتستانتى بصفة عامة.

نشبت حرب فكرية بين دعاة الحرفية فى تفسير الكتاب المقدس، وأنصار داروين، استمرت حتى ثمانينيات وتسعينيات القرن العشرين[2]. كذلك فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، بدأت أمريكا تتحول إلى دولة يسكنها قاطنو المدن أكثر من الريف، فأصاب هذا التحول مجتمعات القرى والمدن الريفية الصغيرة المترابطة بالعائلة والكنيسة والمغلقة، بأمراض المدينة من انقطاع الصلات، والتفكك، وانحلال الروابط العائلية والكنسية.

---

(١) يقصد معارك الأمريكيين مع الهنود الحمر خلال توسيع حدود أمريكا من الشرق، وصولاً إلى الساحل الغربى للقارة.

(٢) حيث ظهرت محاولات فى نهاية القرن لتدريس نظرية الخلق كما جاءت فى الكتاب المقدس بالتوازى مع نظرية داروين.

علاوة على ذلك، زادت موجات الهجرة الأوروبية، وزاد الكاثوليك[1]، والليبراليون والعلمانيون، فأصبح البروتستانت عمومًا، والإيڤانجليكيون بالذات فى أزمة.

وحسب قول چورچ مارسدن:

لم يكن أمام البروتستانت إلا تعلم كيف يحيون مع الكاثوليك، على الرغم من حجم المرارة المتبادلة بين الفريقين. وكانت حقائق الأمر واضحة... لا يستطيع البروتستانت داخل أمة تضم نسبة كبيرة من تعدادها من الكاثوليك (وآخرين من غير البروتستانت) أن تزعم أنها ديمقراطية، وفى نفس الوقت تدعو لفرض الأخلاق والمثاليات البروتستانتية..

لم يمنع ذلك المنطق من الانتشار الواسع لجهود معاداة الكاثوليكية، ومعاداة اليهودية، ومعاداة الأجنبى.

وبنهاية القرن، أصبح أكثر عمداء الكليات من غير رجال الدين، بعد أن احتكر رجال الدين مناصب العمودية حتى منتصف القرن، وبعد أن كان الكتاب المقدس هو الصواب المطلق، ومحور كل العلوم، تغير ذلك تمامًا فى نهاية القرن.

وبنهاية القرن، خفت بريق الإمبراطورية الإيڤانجليكية، حتى أوشك على الأفول، فى نفس الوقت الذى ازداد فيه المد الدينى البروتستانتى العام، وأيضًا فى نفس الوقت الذى ازداد فيه المد العلمانى.

***

(١) تضاعفت عضوية الكنائس الكاثوليكية بين عامى ١٨٦٠، و ١٩٠٠م من ثلاثة ملايين إلى اثنى عشر مليونًا، ونظر الكثير من البروتستانت إلى تلك الزيادة على أنها تمثل تهديدًا جديدًا للأمة.

THE NEW JERUSALEM

And I John saw the holy city, new Jerusalem, coming down from God out of heaven, prepared as a bride adorned for her husband. . . . (Revelation 21: 2)

BABYLON FALLEN

For her sins have reached unto heaven, and God hath remembered her iniquities. . . . (Revelation 18: 5)

ظهر مع مطلع القرن العشرين تباين ثلاثة تيارات فكرية داخل البروتستانت . . . الأول هو استمرار التيار الإيڤانجليكى الذى يقول بعصمة الكتاب المقدس وتفسيره حرفيًا . . والثانى، وهو أيضًا محافظ، ولكن لا يأخذ بالتفسير الحرفى، ويريد بذلك أن يتجاوز أى اصطدامات جديدة تأتى من جانب التطور العلمى إذا ما تم الإصرار على التفسير الحرفى . . أما الثالث فهو التيار الليبرالى الذى يقوم تركيزه على أخلاقيات الكتاب المقدس، وترجمتها لبرامج إصلاح المجتمع، حسبما اتفق على ما تسميته الإنجيل الاجتماعى، مع اجتناب التركيز على التفاصيل العقائدية واللاهوتية .

تضافرت التيارات الثلاثة مع الكاثوليكية فى العمل الاجتماعى ، واقتراح البرامج التقدمية على الحكومة، فى شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فمن انتخابات أولية مباشرة، وحق المرأة فى الانتخاب، وحق إقالة الحاكم بالتصويت، إلى تحديد ساعات العمل اليومى، ومنع عمالة الأطفال، والتأمين ضد حوادث العمل والأمراض المهنية، إلى تنظيم التجارة بين الولايات، ومراجعة قوانين المصارف والعملة، ومقاومة الاحتكارات ، وضريبة الدخل، إلى اتخاذ إجراءات صارمة لمنع تهريب الخمور وتحريمها، التى سميت فى ذلك الوقت شراب دم الشيطان، واعتبرت أخطر وأضر صناعة على الإطلاق .

وطبقا لآل كوربت، ففى عام ١٩١٢م جعل مؤتمر الحزب التقدمى شعاره الرئيسى أغنية : إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون .

المسيحية والحرب

ذكر آل كوربت فى «الدين والسياسية فى الولايات المتحدة» :

ترجع الجذور الدينية للمواقف الأمريكية تجاه الحرب والسلام إلى الكتب المقدسة، وقد أدت هذه الكتب إلى ظهور ثلاث رؤى للحرب: الحرب المقدسة، والحرب العادلة، والسلامية. . . لقد أيد كلٌّ من مارتن لوثر وچون كالڤين شكلاً من أشكال الحرب العادلة. فالسيف بالنسبة للوثر هو السلاح الشرعى للدولة. أما كالڤين، فقد كان متطرفًا بعض الشيء، فبالنسبة له الدولة مسئولة عن دعم الكنيسة، وعلى هذا النحو، أصبحت الحرب بالنسبة لكالڤين أقرب ما تكون إلى حرب مقدسة.

والمكان الرئيسى للسلامية ـ أى وجهة النظر الثالثة فى الولايات المتحدة ـ هو كنائس السلام، إلى جانب الأصحاب، المينونيت، الأدڤنتست، شهود يهوا، على الرغم من قول شهود يهوا بأنهم سيحاربون فى حرب الرب [هرمجدون] وسيكونون فى مقدمة الصفوف وعلى هذا فهم ليسوا سلاميين بالمعنى التام. [صفحة ١٢٢].

ثم ينقل آل كوربت عن چون فيرجسون الأسس التى تقوم عليها الحرب العادلة:

١ ـ تعلنها السلطة الصحيحة.

٢ ـ وراءها قضية عادلة.

٣ ـ هدفها زيادة الخير وتقليص الشر.

٤ ـ تستخدم الوسائل المناسبة.

٥ ـ تشن على المذنبين وليس الأبرياء.

٦ ـ ألاَّ تسبب معاناة زائدة للأبرياء.

٧ ـ أن تكون الحل الأخير بعد فشل كل الحلول الأخرى.

٨ ـ أن تكون لها فرصة معقولة للنجاح.

كتاب الأصولى

كيف ظهر مصطلح الأصولية إلى العالم؟

نقرأ من كتاب «كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيڤانجليكية» لچورچ مارسدن[1]، ما كتبه تحت عنوان:

(١) من منشورات ويليام بى إيردمانز ـ جراند راپيدز، ميتشجان ١٩٩١م ـ إعادة طبع ٢٠٠٠م.

انبعاث الأصولية

الحروب هى محفزات التاريخ. إنها تكثّف وتعجّل من التوجهات الكامنة بالفعل داخل الثقافة. وقد كان للحرب العالمية الأولى تأثير هائل وخاص على الحياة الأمريكية. كانت الولايات المتحدة حتى ذلك الوقت تقبع بعيداً عن قلب الشئون الدولية. واتسمت أمريكا ما قبل الحرب بالتفاؤل الملحوظ على الرغم من مشكلاتها المتعلقة باستيعاب الناس ذوى التنوع الشديد. لم يكن هناك تحد تصعب السيطرة عليه من جانب المثالية الأمريكية ومن جانب تقنية استخدام المعارف. وقد ألقى الأمريكيون بكل ثقل ثقتهم بالنفس وكذلك حماسهم المعنوى لدعم المجهود الحربى، وقد نجحوا فى ذلك. ولكن كان حيز النجاح محصوراً إلى حد كبير فى ميدان القتال. وبرغم بعض الاستثناءات من القاعدة، لم تكن الحرب ممارسة تطهرية. ففى خارج الولايات المتحدة سرعان ما تلاشت الحملة الصليبية من أجل «جعل أمريكا آمنة من أجل الديمقراطية». وداخل الوطن أطلقت الحرب قوى العلمانية من عقالها مما استدعى عصر الجاز. كما أشعلت أيضًا فتيل مرحلة من المرارة ورد الفعل. واجتاحت الانشقاقات المثالية الأمريكية. وعلى الرغم من النضال الأخير من أجل إبقاء أمريكا پروتستانتية، كانت حقيقة الأمر هى انتهاء العصر الذى كانت فيه الولايات المتحدة هى، بأى معنى من المعانى الجوهرية، معقل «المسيحية».

وبينما طال التغيير الجوهرى كل مجموعة مسيحية رئيسية فى أمريكا بسبب الحرب، لكن التأثير الذى طال طائفة البروتستانت البيض ذات السيطرة الثقافية كان هو الأكثر شدة. لقد أوقعت التغيرات الثقافية المصاحبة للحرب وكذلك توابعها، هذه الطائفة فى اضطرابات لمدة عقدين، وبعدما استعادت عافيتها إلى حد ما عقب الحرب العالمية الثانية، لم تعد إلى ما كانت عليه.

بمجرد دخول أمريكا إلى الحرب الأوروپية فى ربيع عام ١٩١٧م، لم يقاوم إلا القليل من رجال الإكليروس تلك الموجة الوطنية الغامرة التى اكتسحت البلاد. توحدت الهوية المسيحية مع الهوية الأمريكية بشكل كامل. وقال الإيڤانجليكى «بيلى صانداى» بشكل مباشر: «المسيحية والوطنية هما كلمتان مترادفتان، كما أن الجحيم والخونة مترادفان أيضًا». كان «صانداى» (١٨٦٢ - ١٩٣٥م) قد بلغ لتوه قمة شهرته

عندما اندلعت الحرب، وقد أدخل فى رسالته الحرب بحماسة غير عادية. ومن بين أعظم الإيڤانجليكيين من أمثال «فينى»، و«مودى»، و«صانداى»، و«جراهام»، كان «بيلى صانداى» هو رجل العروض الأول.

ولأنه كان لاعب كرة بيسبول سابقًا، فقد امتلأت قُدّاساته بالألعاب الأكروباتية، والقفز، والسقوط، والدوران السريع، والانزلاق. وكان عندما تغمره الوطنية، ينهى موعظته بالقفز فوق قمة منبر الوعظ ملوحًا بالعلم الأمريكى.

وباستثناء الطريقة، لم يتفق اللاهوتيون الليبراليون مع المحافظين فى أى شىء على الجبهة الوطنية. وبينما خلط الإيڤانجليكيون من أمثال «صانداى» الدين الفولكلورى الوطنى مع ديانتهم المسيحية، كان لليبراليين رهان لاهوتى أعمق على الحرب «لجعل العالم آمنًا من أجل الديمقراطية». كانت النسخة الأقصى حداثة من إنجيلهم ترى الله يعمل من خلال التقدم فى الحضارة، وبخاصة الحضارة الديمقراطية مثل الموجودة فى أمريكا. وعليه كانت الحرب بالنسبة لهم بكل وضوح قضية مقدسة. لذلك قال «شيلر ماثيوز» مدير الجامعة لمدرسة اللاهوت فى شيكاجو فى تصريح مميز «الأمريكى الذى يرفض المشاركة فى الحرب الحالية. . . . . ليس مسيحيًا».

من بين المحافظين والليبراليين من المسيحيين، تصارع المعتدلون فيما يتعلق بقضية الحرب والكوارث الأخلاقية المترتبة عليها. مع ذلك، فقد أجبرت ضغوط الرأى العام معظم غير المتحمسين على أن يلتزموا بالصمت الحذر. كان الكثيرون على استعداد - ومن بينهم الوعاظ وعلماء اللاهوت - لإلقاء الحجر الأول على من يشتبه فى تهربه من الحرب. وعلى سبيل المثال، اعتبرت مدرسة اللاهوت بجامعة شيكاجو عقيدة المرحلية «ما قبل الألفية» (والتى رفضت معادلة تقدم المملكة مع تقدم المجتمع الديمقراطى) هدامة بالنسبة للمجهود الحربى، وتعرضت لهجمات مريرة للغاية.

وسرعان ما أدت هذه الضغوط إلى إعادة كل فرد تقريبًا إلى داخل الصف مع اعترافات مغالية بالوطنية. وقد استمدت هذه العواطف العون بحلول عام ١٩١٨م عن طريق روايات الفظائع عن ألمانيا التى تم تداولها وقبولها بشكل واسع، مما أدى إلى اقتناع الكثيرين بأن الحرب هى مسألة حضارة مسيحية ضد الجنود الألمان البرابرة والمتعطشين للدماء. كان «نيويل دوايت هيليز» راعى كنيسة «هنرى وارد بيتشر» القديمة بإبرشية

بلايموث فى بروكلين، هو الزعيم فى خلق هذا الاعتقاد. ألقى «هيليز» فى عام ١٩١٧م ما يزيد على أربعمائة محاضرة حول فظائع الألمان وألهب مستمعيه بروايات عن كيفية قيام الجنود الألمان باغتصاب وتشويه النساء البريئات. وادّعى أن القيصر الألمانى أعطى كل جندى ألمانى رخصة واضحة «لارتكاب أية جريمة يرغب فى إتيانها». (أصبحت إحدى أسوأ تبعات هذه الهستيريا واضحة للعيان فى وقت متأخر للغاية، عندما حدث تجاهل للصحفيين الذين أرسلوا تقارير عن فظائع «هتلر»، وفقدت مجهوداتهم التقدير بحسبانها ليست إلا دعاية فى زمن الحرب).

مع ذلك، كان التأثير الرئيسى فى ذلك الوقت، هو خلق كراهية أمريكية لكل ما هو ألمانى. وقد حظر تعليم اللغة الألمانية فى بعض المدارس العامة، وفى العديد من الأماكن.

اعتبرت قداسات الكنائس التى تقام بأية لغة عدا اللغة الإنجليزية برهانًا على نقص الوطنية. كان الرأى العام المضاد لاستخدام اللغات الأجنبية فى إقامة الطقوس الدينية خلال الحرب، مقترنًا بالضغوط لإعلان الأمريكانية الشاملة، يشكلان عنصرين مهمين فى التعجيل بأمركة الكثير من المهاجرين الجدد الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس.

بعد الحرب

عندما انتهت الحرب فى نوفمبر عام ١٩١٨م لم تكن حماسة الأمة للحملة الحربية قد وصلت بعد إلى ذروتها. كانت الوطنية المتطرفة التى تعالت نتيجة دعاية وقت الحرب قد اشتد ساعدها نتيجة النجاحات المؤكدة للجيوش الأمريكية. بعدها وحيث كان الحماس لا يزال يتزايد، جاء السلام المفاجئ فترك الأمة غائصة فى تأرجح نفسى كبير، لكن بلا عدو محدد بوضوح. وخلال الأعوام التالية، اختلطت موجات الحماس العالية مع بقايا المرارة والشك والكراهية. وكالعادة، كان للكنائس دور محورى تلعبه.

فى البداية، كان المزاج الطاغى فى معظم الكنائس يحمل شعوراً بالوحدة والمثالية. وكان التجلى الأكثر درامية لهذا المزاج حاصلاً مع الانتصار النهائى لحركة حظر الخمور. فخلال عام ١٩١٧م أحرزت هذه الحركة - التى كانت تنمو بثبات لعقود - النصر

بشكل فجائى فى قلب حماسة زمن الحرب. اتحد الكثيرون من البروتستانت والكاثوليك والتقدميين فى هذا الجهد الاستثنائى لتنظيف المنزل. استطاعوا بشكل عاجل تمرير عدة قوانين تحظر إنتاج أو بيع المشروبات الروحية، وسرعان ما تبعوا ذلك بإصدار التعديل الثامن عشر، الذى أعاد فقط تأكيد الإنجاز عندما دخل أخيراً إلى حيز التنفيذ عام ١٩١٩م. يعود هذا الانتصار الواضح لهذه التجربة الاجتماعية بشكل هائل إلى مساهمة المثالية المسيحية الخاصة بتلك الفترة.

فى البداية كان للحرب تأثير وحدوى. وقد سرى ذلك التأثير بشكل واسع على وجه الخصوص بين البروتستانت المتحمسين للوحدة المسيحية وللإصلاح العالمى. حمل الجهد الأكبر أهمية لتنظيم هذا التوقد الحركة العالمية بين الطوائف والكنائس والتى انطلقت عقب الحرب مباشرة. أظهرت هذه الحركة نفس الحماسة التى سبق أن ألهمت الحركة التقدمية للرجال والدين، وقد تشكلت هذه الحركة من أجل توحيد الجهود الخيرية والإرسالية والروحية للمسيحيين على اتساع العالم. وأثناء الحديث عن التوحيد الفعلى للكنائس، تشارك زعماء الحركة فى «رؤية كنيسة موحدة ترمى لتوحيد عالم منقسم».

بحلول صيف عام ١٩٢٠م، ظهرت الانشقاقات داخل الحركة العالمية بين الطوائف والكنائس. لقد جلبت المعارضة المحافظة إلى الحركة مصيراً يشابه إلى حد كبير ذلك الذى كان لعصبة الأمم التى اقترحها الرئيس «ودرو ويلسون» بعظيم الأمل، وانتهى الأمر فى عام ١٩٢٠م بأن كانت الولايات المتحدة وحدها هى التى رفضت الانضمام لتلك العصبة.

لقد اختفت مثالية الحرب العالمية الأولى بسرعة كبيرة تحت ظل رد الفعل المرير المتنامى داخل الكنائس، مثل الحادث فى الأمة عموماً عندما انتهت الحرب فجأة، فقد بدا كما لو أن عنصراً معتبراً من الشعب الأمريكى فى احتياج إلى العثور على أعداء جدد لينفس خلالهم عن انفعالاته الملتهبة. تضافرت الثورة الماركسية فى روسيا عام ١٩١٧م مع القلاقل العمالية، وسلسلة من انفجارات القنابل الإرهابية المرعبة على صب الوقود على نار «الرعب الأحمر» خلال عام ١٩١٩م، حيث وقعت معظم الأمة فى قبضة

المخاوف من الاختراق ومن صعود الشيوعية. وكان إحياء منظمة «كوكلوكس كلان» يحمل ارتباطًا مباشرًا بالكنيسة. أعيد تشكيل هذه المنظمة المناهضة للسود عام ١٩١٥م، ليتسع نطاق كراهيتها ويشمل الكاثوليك، واليهود، والشعوب غير الشمالية بشكل عام. وإذا كانت الحرب قد عجلت من امتصاص هذه المجموعات غير الشمالية داخل التيار الرئيسى للحياة الأمريكية، فإن توابع الحرب قد عجلت من ردود الأفعال والتحيزات ضد هذه المجموعات عند العديد من الأمريكيين ذوى الأصول الشمال أوروبية. وبحلول عام ١٩٢٣م، وصلت «الكلان» إلى ذروة العضوية بحوالى ثلاثة ملايين عضو. وعلى الرغم من عدم ربط هويتها مباشرة مع أية طائفة أو أية حركة بروتستانتية، وعلى الرغم كذلك من إنكارها من جانب الليبراليين والمحافظين على السواء، فقد ادعت منظمة «الكلان» بلا مواربة بأنها بروتستانتية. لقد تبنت تعاليم وتراتيل ورموزًا مسيحية، ومثلت قطاعًا له اعتباره داخل الطائفة البروتستانتية المهنية. وربما يكون رمز الصليب المشتعل هو أفضل ما يضع يدنا على الأسلوب الذى تبين به هذه الحركة، مثلها مثل الحركة النازية فى ألمانيا فيما بين الحربين، كيفية الدمج بين التراث المسيحى، مع دين فولكلورى قومى، مع المصالح الذاتية، مع الكراهية للآخر.

وبالطبع، لم تمثل منظمة «الكلان» الغالبية الساحقة من البروتستانت الأمريكيين سواء فى الجنوب أو الشمال. مع ذلك، كانت تجليًا متطرفًا للميول التى تتخلل الجماعة الأمريكية المسيطرة ولكن بأشكال معتدلة. وبالتحديد، كانت المشاعر قوية ضد «الأجانب». وعلى المستوى الاقتصادى، فقد بدوا وكأنهم يمثلون تهديدًا، أما اجتماعيًا فقد كانوا فى المركز من مشكلات الأرياف. علاوة على ذلك، فإن استمرار تدفقهم سوف يضع النهاية الدينية والثقافية لسيطرة البروتستانت الأنجلوساكسون. قاد تراكم هذه المشاعر إلى وضع القيود على الهجرة بعد الحرب، وبلغت تلك القيود أوجها فى قانون «چونسون ريد» عام ١٩٤٢م، والذى حدد حصصًا قاسية بالنسب التى كان عليها تعداد الولايات المتحدة فى عام ١٨٩٠م. أثرت هذه الجهود بشكل مباشر على زيادة اليهود، والكاثوليك من جنوب وشرق أوروبا، وعلى الطوائف الأرثوذكسية.

وقد واجهت جميع الطوائف الدينية الأمريكية تحديات حقيقية ومحبطة على جبهة أخرى فى العشرينيات من القرن العشرين. فقد عجلت الحرب وأخرجت إلى العلن

العلمانية التى كانت تنمو داخل الحياة الأمريكية. فحين كان المرء فى عام ١٩٠٠م قد يتحدث مع أصحابه عن الدين فى أدب ولكنه لا يجرؤ على الإطلاق على ذكر الجنس، فبحلول العشرينيات من القرن العشرين كان العكس هو الحادث فى الأغلب. هذه «الثورة فى الأخلاقيات» كانت جلية وبخاصة فى المدن وفى الثقافة الشرقية والتعليمية التى حكمت الإعلام الأمريكى. وبدأت فى عام ١٩١٩م صحف الفضائح (التابلويد) الحديثة، بعناوين رئيسية عن القصص المثيرة للمشاعر والهادفة للإثارة. واستغلت السينما نجوم الجنس إلى أقصى مدى. وكان الأدب نصف الجاد مملوءاً بنقاشات حول فرويد، والفرويدية، وبأهمية حرية التعبير. واستغلت الإعلانات الحديثة هذه الحرية الجديدة، فبيع الصابون - مثلما كان ملاحظًا كما لو أنه عقار مثير للشهوة الجنسية. وجاء مع هذا التغير فى الثقافة الشعبية الانهيار المفترض فى قوة الدعم الاجتماعى لمعايير السلوك الشخصى التى كانت ضمن القواعد النابعة من الكنائس. مارست النساء التدخين فى العلن، ولم يعدن على الدوام يغطين ركبتهن (حتى داخل الكنائس)، ورفضن أن يتبعن المثل العائلية التى ضربتها أمهاتهن. أما الرقص والذى كان لفترة طويلة من المحرمات بالنسبة لبعض البروتستانت، أصبح الآن له دوره المكمل للقبول الاجتماعى فى زمن الفتاة العصرية. وفى حين تقبل بعض رؤساء الكنائس الأمر ببساطة، وأدخلوا الرقص حتى إلى مقابلات الشباب فى الكنسية، فقد أصيب آخرون بالرعب. وقد اشتكى أحد الأساقفة الميثوديين من الجنوب المحافظ من الرقصات الجديدة قائلاً: «تتصل أجساد الرجال والنساء مع بعضها البعض بشكل غير عادى». وأدت المقاعد الخلفية فى العربات الجديدة نفس الوظيفة. وعلى الرغم من إمرار قانون حظر الخمور، كانت المعركة من أجل فرض الفيكتورية التقليدية والأخلاقيات الميثودية معركة خاسرة.

جلب مناخ الأزمة هذا معه اختلافًا حادًا فى الآراء داخل الكثير من الكنائس البروتستانتية. وظل العديد من الليبراليين على تفاؤلهم، ورأوا فى تفكيك التقاليد فرصة من أجل بناء إجماع مسيحى ليبرالى جديد. كان رد فعل المحافظين قويّا على الجانب الآخر. وبذلك، فإن قوى ما بعد الحرب المتنوعة نفسها والتى أفرزت كلاّ من الحركة العالمية للتعاون بين الكنائس، ومعها أحيت حركة «الكلان»، والانتصار

القانونى لحظر الخمور، ومقابل ذلك الانتصار الفعلى للثورة العامة ضد أخلاقيات البروتستانت التقليدية، قد جلبت معها الخلاف العميق حول قضايا لاهوتية وإكليريكية جادة. كانت هذه الخلافات تتطور منذ زمن بعيد. كانت كل من الليبرالية، وفى مقابلها حركات محافظة مضادة ذات حجم معتبر يرتفع بنيانهما على مدى جيل، لكن نشاط ما قبل الحرب قد ألقى بظله على النقاشات اللاهوتية، وجرى الحفاظ على سلام نسبى. مع ذلك، أجبرت أزمة الحرب وما بعدها كل جانب على مواجهة الآخر، وعلى رؤية مدى اتساع خلافاتهم الفعلية بخصوص رؤاهم تجاه الكنائس وتجاه الثقافة الأمريكية.

الأصوليون فى مقابل الحداثيين

كان التجلى البارز لهذا الاكتشاف المشترك، الأصولى فى مقابل الحداثى هو خلافاتهما التى سادت الأنباء الدينية فى العشرينيات من القرن العشرين. من الصعب القول بمن هو صاحب الطلقة الأولى فى هذا الخلاف، حيث إنه بنهاية الحرب العالمية الأولى كانت العديد من القصفات الرئيسية قد صدرت من كلا الجانبين.

كان الليبراليون أكثر تحديًا عن ذى قبل تجاه التنظيم من أجل الوحدة والعمل، وبالتحديد فى مهاجمة خصومهم من المحافظين. كان المحافظون بالمثل، ينظمون بشكل ملحوظ خلال عام ١٩١٩م من أجل إقامة «الهيئة العالمية للأصول المسيحية»، وهى مجموعة مرحلية «ما قبل ألفية» أنشئت من أجل محاربة الحداثة. وفى العام التالى، نظم المحافظون فى التجمع المعمدانى الشمالى مؤتمرًا عن «الأصول» لتجنيد وتجميع المعارضة ضد الليبرالية. **ظهر مصطلح «الأصولية» فى هذه المناسبة، عندما صاغه «كيرتز لى لوز» المُحرر المحافظ للجريدة المعمدانية "The Watchman Examiner" لكى يصف هؤلاء الذين «على استعداد لدخول المعركة الكبرى من أجل الأصول». وسرعان ما استخدم هذا التعبير لوصف جميع أنواع البروتستانت الأمريكيين الذين على استعداد لشن حرب إكليريكية ولاهوتية ضد الحداثة فى اللاهوت، وضد التغيرات الثقافية التى رحب بها الحداثيون.**

كانت القوى الأصولية فى العشرينيات من القرن العشرين لا تقهر؛ بسبب أنها مثلت تحالفًا من البروتستانت المحافظين كان آخذًا فى النمو منذ بعض الوقت. وكان المرحليون «ما قبل الألفيون» يمثلون مركز هذا التحالف، وهم كانوا يروجون لتعاليم المرحلية لما يقارب نصف قرن من خلال مؤتمرات النبوءات، ومعاهد الكتاب المقدس، والحملات الإيڤانجليكية، والكتاب المقدس طبعة «سكوفيلد» (١٩٠٩م). **وكان نفس هؤلاء الزعماء قد روجوا لتحالف أعرض عن طريق النشر والتوزيع المجانى الواسع لكتاب «الأصول» ذى الاثنى عشر جزءًا، والذى يضم بين دفتيه كل أفكار الدفاع عن العقائد الأصولية، بقلم كُتاب متنوعين من الأمريكيين والبريطانيين المحافظين.**

وتشعب الخلاف فى بواكير العشرينيات من القرن العشرين داخل كنائس البروتستانت مثلما كان عليه الحال أيضًا فى الثقافة عامة. وحاول المحافظون داخل الطوائف الرئيسية وفى مجالاتها التبشيرية، العمل على إحباط تقدم الحداثة عن طريق مختلف الأساليب التشريعية المصممة بغية فرض الالتزام بالعقائد الأصولية للمسيحية التقليدية المتجاوزة للطبيعى. أما على صعيد التبشير الخارجى، حيث يعتبره الإيڤانجليكيون المحك لجوهر خلاص النفوس، كانت المنافسة بين المحافظين والليبراليين شديدة بوجه خاص، وقد عكست هذه الخلافات نفسها فى الأزمة داخل الوطن، كانت هذه الخلافات شديدة، وبخاصة فى الطوائف التى كان للأصوليين والليبراليين تمثيل متعادل بداخلها. مثّل كلٌّ من التجمع المعمدانى الشمالى، والكنيسة المشيخية (الشمالية) فى الولايات المتحدة المركزين لهذا الخلاف الطائفى المؤكد. كما اشتعل خلاف مماثل داخل «حوارى المسيح» بين الليبراليين والحواريين التقليديين أدى إلى انفصال فعلى بين الجانبين بحلول منتصف عشرينيات القرن العشرين. وقد عانت الكنيسة الأسقفية البروتستانتية وكذلك الميثوديون الشماليون من غضبات بسيطة من جانب الأصوليين خلال تلك الفترة، لكن الليبرالية والاعتدال داخل هاتين الطائفين كانا متقدمين للغاية بما لا يدع لنجاح الأصوليين فرصة كبيرة. ويصدق الأمر نفسه على الأبرشيين حيث لم يكن بينهم أى خلاف حقيقى. وعلى النقيض، كان المحافظون فى الجنوب يحكمون سيطرتهم للغاية. كان معظم الجنوبيين منذ وقت الحرب الأهلية معادين لليبرالية والحداثة، اللتين قرنوهما بثقافة اليانكى (الشماليين).

كان «چيه. جريشام ماكين» أستاذ العهد الجديد بالمعهد اللاهوتى فى پرينستون هو الناطق الرئيسى بلسان التحالف بين الأصوليين - المحافظين فى المعركة الخاصة بالطوائف. وقد جادل «ماكين» فى كتابه «المسيحية والليبرالية (١٩٢٣م)» بأنه حين أنكرت الليبرالية الجديدة أن خلاص البشر يعتمد على الحقيقة التاريخية بأن المسيح قد مات من أجل أن يكفر عن خطايا الإنسان، أصبحت هذه الليبرالية غير مسيحية على الإطلاق، بل أصبحت دينًا جديدًا. لقد أصبحت بشكل جوهرى إيمانًا بالإنسانية حتى على الرغم من استخدامها للغة ورمزية مسيحية. وقال إنه يتوجب على الليبراليين أن ينسحبوا بكل أمانة من الكنائس التى قامت على أسس مختلفة تمام الاختلاف نابعة من مسيحية الكتاب المقدس. وقد رد الليبراليون برفق، مجادلين بأنهم إنما كانوا يحافظون على جوهر المسيحية، وبأن المحافظين لا يصادقون إلا على «نظريات» حول ما يقوم الكتاب المقدس بتعليمه. وما هو أكثر أهمية، أن الليبراليين قد أقاموا موقفهم على مبدأ التسامح.

وبما أنه حتى داخل الطوائف، مثل المعمدانيين الشماليين، والمشيخيين الشماليين كان النزال محمومًا، لم يكن معظم البروتستانت الأمريكيين من الحداثيين ولا من الأصوليين المحاربين، وغالبًا ما كانت اقتراحات السلام والتسامح تحظى بدعم رئيسى. فبرغم أن أحرز الأصوليون بعض الانتصارات الرمزية داخل هذه الطوائف، فقد أصبح من الواضح بحلول عام ١٩٢٦م أن سياسات التسامح والاحتواء هى صاحبة السيادة.

فى الوقت نفسه، اجتذب الخلاف الأصولى مزيدًا من الاهتمام على الجبهة الثقافية، حيث انتظم الأصوليون من أجل إنقاذ مجمل المجتمع الأمريكى من «الكفر». وقد ولّدت الحرب العالمية الأولى لدى الكثير من المحافظين الإيڤانجليكيين شعورًا بالأزمة تجاه الثورة فى الأخلاقيات، وتجاه تجدد الاهتمام برفاهية الحضارة. فمن ناحية اقترنت الحرب، مع الثورة الماركسية عام ١٩١٧م، مما جلب خوفًا واسع المدى من انتشار نظام سياسى ملحد وعلنى. وما يزيد الأمر وضوحًا، ففيما يخص الثقافة الأمريكية، كان نموذج ألمانيا هو الموضوع. كانت الحضارة الألمانية تُعرض أثناء الحرب بوصفها جوهر

البربرية على الرغم من إرثها المسيحى القوى. هل يمكن حدوث الأمر نفسه هنا؟ وكانت رياح التغيير الشديدة تنبئ بإمكان حدوث ذلك.

وأعلن المُعادون لنظرية النشوء والارتقاء بصوت عال أن الثقافة الألمانية قد قوضتها فلسفة «فريدريش نيتشه» التطورية "might - makes - right" علاوة على ذلك، كانت الداروينية فى جوهرها إلحادية، وبذلك سوف يسهم انتشارها فى تآكل الأخلاقية الأمريكية. ترتب على ذلك أن بدأ الأصوليون عقب الحرب مباشرة فى تنظيم حملات قوية ضد تدريس التطور البيولوچى فى المدارس الأمريكية العامة. حصل هذا المجهود على عون هائل عندما دخل «ويليام چينينجز برايان» فى عام ١٩٢٠م - وهو مرشح الرئاسة الديمقراطى لمرات ثلاث، وواحد من أعظم خطباء الأمة - فى النزاع ضد الداروينية. كانت جهود الأصوليين المضادة للتطورية سياسية بشكل جوهرى، لذلك فقد اجتذبت تنوعًا أعرض من النواة الخاصة بالپروتستانت الإيڤانجليكيين المحافظين لاهوتيًا. **وبحلول منتصف العقد كانت القوانين التى تحظر تدريس النشوء والارتقاء فى المدارس العامة قد دخلت التنفيذ فى عدد من ولايات الجنوب، وكانت الإجازة التشريعية معلقة فى عدد من الولايات الأخرى. وقد أدت هذه المجهودات إلى محاكمة «سكوپس» الشهيرة فى اختبار لقانون حظر النشوء والارتقاء فى تنيسى عام ١٩٢٥م، فى حادثة دفعت الأصولية إلى داخل الاهتمام العالمى، كما آذنت بانهيارها كقوة قومية فعّالة. كان «چون ت سكوپس» وهو مدرس شاب فى مدرسة ثانوية، قد اعترف بتدريس النشوء والارتقاء، وأحيل إلى المحاكمة ودافع عنه المحامى الجنائى الشهير «كلارينس دارو». وقد تطوع «ويليام چينينجز برايان» لمساعدة المدعى العام رافعًا بذلك الستار عن مشهد للمكاشفة بين الأصولية وبين التشكيكية الحداثية. اهتمت الصحافة بتغطية المحاكمة، بقدر اهتمامها بأول عبور جوى للأطلنطى بطائرة ليندبرج.**

وعلى الرغم من أن نتائج المحاكمة لم تكن حاسمة، واستمر القانون، لكن الرسوم الهزلية فى الصحافة التى صورت الأصوليين على أنهم ريفيون بلهاء ذوو عقول خرقاء، قد حط من قدر الأصولية وجعل من الصعب عليها مداومة المتابعة لشئون الحركة الجادة. ووجد الأصوليون بعد عام ١٩٢٥م صعوبة فى الحصول على الاهتمام القومى باستثناء أن يقوم بعضهم بجهود خارقة.

وعلى الرغم من أن هذه الحوادث المثيرة قد جعلت الغيوم تحيط بصورة البروتستانتية الإحيائية، فقد استمرت الحركة فى النمو بأشكال متعددة خارج التيار الرئيسى لحياة كنيسة البروتستانت. وفى الوقت نفسه فقد وقع الضرر على طوائف التيار الرئيسى ذاتها من جراء الخلافات الأصولية الممتدة، ومن جراء عجزهم عن العثور على الاتجاه الواضح.

وفى حين سيطر الخلاف بين الأصوليين/ الحداثيين على البروتستانتية وعلى معظم الأنباء الدينية فى ذلك العقد، كانت المجموعات غير البروتستانتية المختلفة تؤسس لمواضع أقدام أقوى، بوصفها شرائح ثابتة من الثقافة والدين الأمريكيين.

كان التجلى الأكثر دراميـة لهـذه المكاسب هو فى ترشيح «آل سميث»، وهو كاثوليكى، ليكون المرشح الديمقراطى للرئاسة عام ١٩٢٨م. مع ذلك فإن حملة «سميث» قد أشعلت جدلاً عنيفًا ضد الكاثوليكية فى قلب البروتستانت المحافظين. وقالوا : غدًا قد يكون لدينا «سميث»، وبعد غد سيكون لدينا «البابا». عدلت مثل هذه الاتهامات من اتجاه الأصوات، لكنها لم تعدل من اتجاه الانتخابات حيث كان من شبه المؤكد أن تكون فى صالح «هربرت هوفر» على أية حال. مع ذلك، كانت هذه القصة فى صدقها الذى يماثل صدق الدعم لتقييد الهجرة فى أوائل العقد، مؤشراً على عدم رغبة الكثير من البروتستانت فى التخلى عن فكرة أن أمريكا هى أرض البروتستانت.

كانت معارضة البروتستانت المحافظين لحملة «سميث» هى آخر ظهور علنى رئيسى للأصولية فى الحياة العامة الأمريكية خلال العشرينيات من القرن العشرين. وسرعان ما بدت وكأنها النفس الأخير للأصولية. وبدت الأصولية واقعة فى فوضى، وافترض معظم المراقبين أنها قد أحرقت نفسها وأنها سرعان ما سوف تختفى إلى الأبد. وقدمت الانتقادات النموذجية افتراضًا أن الأصولية كانت نتاجًا لثقافة الأرياف، وأنه بمجرد انتشار التعليم الحديث، فإنها سوف تفقد قاعدتها الاجتماعية.

مع ذلك وفى الواقع، لم يكن ذلك اختفاء للأصولية لكنه كان إعادة للاصطفاف.

استمر الأصوليون فى فعل أفضل ما قاموا بفعله من قبل، وهو نشر الإيڤانجليكية وبناء الكنائس المحلية، بعد أن أصبحوا غير قادرين على السيطرة لا على الطوائف

الشمالية الرئيسية، ولا على الثقافة السياسية. وفيما يخص نشر الإيڤانجليكية، فقد كانوا أساتذة فى الإعلام الجماهيرى، وبذلك تكيفوا مع الراديو بسرعة. وقد نمت كنائسهم ووكالاتهم الفردية على المستوى المحلى، حتى ولو أبطأتها ضغوط التمويل الناتجة عن الركود فى أوائل ثلاثينيات القرن العشرين. انفصل بعض الأصوليين داخل كنائسهم الخاصة، فى حين قبع المحافظون الآخرون فى هدوء داخل الطوائف الرئيسية. أصاب التدهور منظماتهم الوطنية سواء التى داخل الطوائف أو السياسية منها، لكن الفاعلية على المستوى المحلى ضمنت أن يكون ذلك القطاع من البروتستانتية الأمريكية أحد القلائل الذين يتمتعون بالنمو خلال ثلاثينيات القرن العشرين. وتطلب الأمر عقوداً ليتسنى للأصوليين وورثتهم من الإيڤانجليكيين معاودة البروز داخل الحياة الأمريكية، وعندها فقط، لاحظ ذلك العديد من المراقبين، أو أخذوه على محمل الجد. [صفحة ٦٨ إلى ٨٠](*).

أما آل كوربت، فقد كتبا:

الحرب العالمية الأولى

عندما أعلنت انجلترا وفرنسا والحلفاء الحرب على ألمانيا، انقسم الزعماء الدينيون والجميع فى آرائهم حول الحرب. ولم يكن الانقسام دينيًا بالمعنى المفهوم، وإنما انقسام حول أخلاقية الحرب وتداعياتها على المدى البعيد. وقد حصل إعلان الرئيس «ويلسون» بدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٧م على تأييد شبه كامل من الجماعات الدينية، حتى تلك الملتزمة عادة بالسلامية. ومما سهل تقبل الأمر، وصف «ويلسون» دخول الولايات المتحدة النزاع بأنه لم يكن إلا لدعم حقوق الأنسان. وحتى من أيد ألمانيا مسبقا فى النزاع الأوروبى تحول عن ذلك. ونظر للحرب على أنها شر لا بد منه وأنها الطريق الوحيد للسلام. وانشغلت المنظمات الدينية وزعماؤها بتأييد محمود لجهود الحرب، مما جعلها تبدو كحملة صليبية. **فقد دعا الرب الأمة لدخول المعركة لإحراز النصر النهائى «للحضارة المسيحية» ومجد المحاربين كأبطال الحق ضد أتباع الشيطان.**

(*) كيف نفهم الأصولية البروتستانتية والإيڤانجليكية ـ جورج مارسدن ـ ترجمة نشأت جعفر ـ مكتبة الشروق الدولية ـ ٢٠٠٥م.

بعد انتهاء الحرب، تضافرت ثانيا التيارات البروتستانتية الثلاثة، مع الكاثوليكية، وأصدرت قانون تحريم الخمر.

كذلك أفلح التيار الإيڤانجليكى فى بعض ولايات الجنوب فى إصدار قوانين تمنع تدريس نظرية النشوء والارتقاء، ومن هنا ظهرت قضية سكوپس المشهورة عام ١٩٢٥م فى ولاية تنيسى، ولكن أفلح الإعلام الليبرالى فى هز وتشويه صورة الإيڤانجليكيين حتى بدوا كالقرويين البلهاء المتخلفين.

بعد ذلك اعتبر المحللون والمؤرخون والإعلاميون أن الإيڤانجليكية تلفظ، إن لم تكن لفظت بالفعل، أنفاسها الأخيرة، ومن ثم أصبحت السيادة لليبراليين، واستقرت عندهم.

ويستمر آل كوربت فى تسجيل برامج التيار البروتستانتى الإصلاحى، تحت عنوان:

المثل الاجتماعية العليا للكنائس

فى عام ١٩٣٢م، كانت القائمة أطول بالنسبة للإصلاحات الاجتماعية الخاصة بالمجلس الفيدرالى للكنائس، وقد تشابهت تلك القائمة فى أوجه عدة مع البيان الاجتماعى الذى وافقت عليه الكنيسة الميثودية منذ ربع قرن مضى. وتشتمل عدة نقاط فى قائمة الإصلاحات الاجتماعية على «التطبيق العملى للمبدأ المسيحى الخاص بالرفاهية الاجتماعية»[1] فى أوجه شتى من النظام الاقتصادى مثل: الائتمان، والنظام النقدى نفسه، واكتساب المال، التوزيع العادل للثروة، والحد الأدنى للأجور وغيره.

وتضم القائمة أيضًا سلامة العمال العاملين بالصناعة والزراعة والتأمين، بما فى ذلك التأمين ضد البطالة. لقد وافق المجلس على خفض عدد ساعات العمل اليومية،

---

(١) فى كتابه «الشعب المختار ـ الأسطورة التى شكلت انجلترا وأمريكا» يقول لونجلى فى صفحة ٥٠ من الجزء الأول: . . وليم تمبل كبير أساقفة كنتربرى، [فى انجلترا]، كان مسئولاً إلى حد كبير عن إنتاج نظرية عن مسئولية الدولة تجاه مواطنيها. . وقرر أن كنيسة انجلترا لا تستطيع أن تنتحى جانبا عن معاناة الناس، وأسهم بصفة خاصة فى الأفكار التى صارت «دولة الرفاهية»، وذلك المصطلح من اختراعه.

وتشجيع أصحاب العمل جميعًا على خفض أيام العمل الأسبوعية إلى ستة أيام «مع توقع خفضها لأكثر من هذا». وتؤيد القائمة شرعية المنظمات العمالية، وحق التفاوض الجماعى، وضرورة تحقيق العدالة الاقتصادية للمزارعين، وإتاحة الفرصة الثقافية الموجودة بالمدن للمقيمين بالمناطق الريفية.

وتضمنت القائمة كذلك الأنظمة الخاصة التى تكفل حماية المرأة العاملة، وكذلك الأنظمة الخاصة بالإلغاء التام لعمالة الأطفال، و«حماية الأسرة بمعيار واحد للطهارة، والإعداد التربوى للزواج، وإدارة شئون المنزل، والأبوة». وقد سعى المجلس إلى حماية المجتمع من أثار أى اتجار فى المسكرات والمخدرات، كما شجع إصلاح المحكمة الجنائية وأنظمة السجون.

ولقد هدفت قائمة الإصلاحات الاجتماعية إلى دعم فكرة بناء «نظام عالمى تعاونى» عن طريق نبذ الحرب، والخفض الكبير للأسلحة، وكذلك إقامة هيئات دولية لفض المنازعات. وبشكل أكثر عمومية آمنت هذه الإصلاحات بالتسامح وحسن النوايا تجاه الجميع، هذا إلى جانب حماية حقوق ومسئوليات حرية التعبير وحرية الاجتماع وحرية الصحافة التى تؤمن بأن «حرية التواصل بين العقول أمر جوهرى لاكتشاف الحقيقة».

وعند النظر لتلك الوثيقتين، يبرز لنا أمران: **أولاً**: كل من الوثيقتين قد كتب منذ ما يربو على نصف قرن مضى، إلا أن كثيراً من المشاكل ما زالت موجودة.

ثانيا: الحلول التى اقترحت فى ذلك الوقت تشبه تلك المقترحة الآن. فعلى سبيل المثال، يظهر فى كلتا الوثيقتين دعم الحكومة للتأمين الصحى وبرنامج إصلاح الرعاية الصحية الذى اقترحه الرئيس بيل كلينتون فى تسعينيات القرن العشرين.

الحرب العالمية الثانية

دخلت الولايات المتحدة الحرب عام ١٩٤١م بعد أن أغرقت الطائرات اليابانية قطعا من الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور، وذلك بعد أن حرمت الولايات المتحدة اليابان من إمدادات البترول، فى حربهما الاقتصادية والتوسعية فى شرق آسيا.

أيدت كل الكنائس تقريبًا الحرب، وكان تشرشل يدعو لإنقاذ الحضارة المسيحية، بينما وضع الجنرال أيزنهاور، قائد قوات الحلفاء - ثم الرئيس الأمريكى الرابع والثلاثون - كتابًا سماه «حرب صليبية فى أوروبا».

وخلف ترومان الرئيس الأمريكى روزفلت بعد وفاته، وأعطى أوامره بقصف اليابان ذريًا مرتين، فى هيروشيما ونجازاكى.

ويجدر بنا أن نذكر عن الرئيس ترومان سطورًا قليلة.. فهو من ضمن من لعبوا دورًا كبيرًا فى الشرق الأوسط.

«قبل أن يتولى ترومان الرئاسة، كان قد أظهر تعاطفًا مع الصهيونية، فخلفيته المعمدانية وتربيته، كانتا تركزان على عودة اليهود إلى جبل صهيون. وكان أعضاء المؤتمر المعمدانى الجنوبى أشد الناس حماسًا للصهيونية، وكانوا يؤيدون المطالب الدينية والتاريخية لليهود فى أرض فلسطين. كان معظم المعمدانيين محافظين، بل من أتباع مذهب العصمة الحرفية الذين يميلون إلى اعتبار إقامة دولة يهودية برهانًا واضحًا على تحقيق النبوءات التوراتية»(١).

درس ترومان التوراة، كان يؤمن باعتباره أحد تلاميذ التوراة بالتبرير التاريخى لوطن قومى لليهود، وكانت لديه قناعة أن وعد بلفور عام ١٩١٧م حقق آمال وأخلاق الشعب اليهودى القديمة. وقصة حياته الحافلة بالاقتباسات والإشارات التوراتية تشير إلى ميله للإسهاب فى ذكر التعاليم اليهودية المسيحية.

كان معروفًا حبه لفقرة المزمار ١٣٧ : **لقد جلسنا على أنهار بابل، وأخذنا نبكى حين تذكرنا صهيون.**

وصرح بأن «**موسى تلقى المبدأ الأساسى لقانون هذه الأمة [أمريكا] على جبل سيناء**»(٢).

---

(١) الصهيونية غير اليهودية - ريچينا الشريف ص ٢١٤ - ٢١٥ نقلاً عن:
Creation of a Jewish State/ Watchman Examiner Vol 36 No 23 June 1948. p. 567.

(٢) صفحة ٢١٥ - ريچينا الشريف نقلاً عن سيلج أدلر: صفحة ٢٨٢ - ٢٨٣.

وعندما تم تقديم ترومان فى معهد لاهوتى يهودى على أنه الرجل الذى ساعد على خلق دولة إسرائيل، رد ترومان مستشهدا بالفكرة الصهيونية عن النفىْ والعودة:

ماذا تعنى بقولك ساعد على خلق؟ إننى قورش... إننى قورش... [الذى أعاد اليهود من منفاهم فى بابل إلى القدس].

أما الكونجرس، فتكفينا الفقرة التالية منه:

كما خلص موسى الإسرائيليين من العبودية، فإن الحلفاء الآن يخلصون يهوذا من أيدى الأتراك القبيحين.. حكومة الولايات المتحدة يجب أن تمارس سلطاتها الملائمة لرؤية الدولة اليهودية تقام؛ لتنبثق منها تعاليم ومبادئ يهوذا القديمة (١).

وخطب رئيس لجنة العلاقات الخارجية هنرى كابوت لودج قائلاً:

«يبدو لى أنه أمر مناسب وجدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودى فى وطن قومى... إننى لم أحتمل أبدًا فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين... إن بقاء القدس والأرض المقدسة فى أيدى الأتراك كان يبدو لى لسنوات طويلة وكأنه لطخة فى جبين الحضارة، ويجب إزالتها» (٢).

بعد الحربين العالميتين، حاربت الولايات المتحدة فى كوريا، ثم فى ڤيتنام. وفى ڤيتنام دمرت مئات القرى وعشرات المدن، وضحت بما يقرب من نصف مليون ڤيتنامى ومائتى ألف أمريكى، على مذبح القيم الأمريكية بشقيها الدينى والمدنى حيث كان جنودها هم جنود المسيح، وفى نفس الوقت كانوا حاملى رسالة وحضارة الرجل الأبيض، ولتكمل رسالتها البشرية بما يتضمن ذلك من أعباء وتضحيات ومسئوليات.

أدت الخسائر بين المقاتلين الأمريكيين، وعودتهم مصابين بالأمراض النفسية والجنسية والمخدرات، إلى التخفيف من وطاة الالتزام برسالة نشر القيم الأمريكية ـ الدينية والمدنية ـ فى تلك المنطقة من العالم، واضطرت الولايات المتحدة للانسحاب.

---

(١) صفحة ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ريچينا الشريف، نقلاً من: كونجرس الحروب الأمريكية وسجلات الكونجرس، الجزء ٢٦ القسم ٦ صفحة ٦٢٤٠.

(٢) ريچينا الشريف ـ صفحة ٢١٨.

وعانى الشباب فى أمريكا من فترة ضياع، سادت فيها اللذات الحسية، وفى مقدمتها الجنس والمخدرات، فالحياة أصبحت عبثية، سواء لأولئك من نظروا للأحداث بعيون الدين البروتستانتى، أو الدين المدنى، أو حتى بعيون إمبريالية صرفة لا ترى إلا تفوق الرجل الأبيض، وتتبع داروينية البقاء للأصلح الشاملة.

عودة الإيڤانجليكية

بدأ تنحى الإيڤانجليكيين عن الساحة الجامعية من منتصف القرن التاسع عشر، وتواروا تمامًا من الساحة العامة بعد محاكمة سكوپس، لكن اتضح أنهم لم ينتهوا أو يندثروا، بل عملوا بكل جد واجتهاد فى إنشاء مؤسساتهم التعليمية، ومنابرهم فى الصحافة والإذاعة، وبعد ذلك التليفزيون، وبدأت أجيال جديدة من الدعاة النجوم فى الظهور، وبدأوا يفكرون من منتصف القرن العشرين فى دخول مجال السياسية، وأصبح القس المبجل بيلى جراهام من ضيوف الرئيس أيزنهاور فى البيت الأبيض، واستمرت علاقته بالرؤساء، إلى أن أصبح چورچ بوش الابن أحد رعاياه. وتعدد الدعاة النجوم من الإيڤانجليكيين والأصوليين، وأصبح لكل واحد منهم - من أمثال بيلى جراهام، چيرى فالويل، پات روبرتسون وغيرهم - ملايين المشاهدين والمتابعين بطول الولايات المتحدة وعرضها، مع ميزانيات تتجاوز عشرات الملايين من الدولارات سنويًا، أحرارًا فيما يقولون ويكتبون، وحيثما ينتقلون ومن يخاطبون. **وفى عام ١٩٦٧م، تلقت الأصولية والإيڤانجليكية مددًا فكريًا وروحيًا لا يقدر بثمن، لقد انتصرت إسرائيل الصغيرة الضعيفة على الأغيار الأشرار فى حرب قصيرة انتصارًا كاسحًا، إلهيًا بلا شك... فها هى نبوءات الكتاب المقدس تتحق حرفيًا**، وحسب النصوص الأمريكية:

إسرائيل الصغيرة التى تظهر على المسرح فى دور داود فى العهد القديم، عاقبت جالوت العربى عام ١٩٦٧م - جاء هذا من لوس أنچلوس، بلد هولى وود والفن والليبرالية واليسارية الأمريكية، فى افتتاحية صحيفة لوس أنچلوس هيرالد إكزامنر ٢٤/ ٣/ ١٩٧١م بقلم راندولف هيرست.

أما فى مجلس النواب، فى الاجتماع الثانى والتسعين، الجلسة الأولى، ٢٤/ ٣/ ١٩٧١م صفحة ٣٨٠٥ من سجلات الكونجرس، نسمع وجهة نظر السيناتور چوزيف مونتريا: **من الصعب التصديق بأن داود [إسرائيل] هو المعتدى الحقيقى على جالوت [العرب]**. وتعلق ريچينا الشريف على ذلك قائلة: ليس هذا السيناتور من أتباع العصمة الحرفية، ولا يكاد يكون هناك يهود فى ولايته [نيو ميكسيكو]، ولكنه ينظر من خلال التوراة.

وطبقا لچورچ مارسدن:

... ربما كان التأثير السياسى الأعظم للإيڤانجليكية على السياسية الأمريكية خلال الخمسين عامًا الماضية، هو فى دورها الخاص بتوسيع القاعدة الشعبية للدعم شبه الكامل وغير القابل للتحول، لدولة إسرائيل... لم تفعل الأغلبية الأخلاقية[1] إلا الإعلان عن رؤية إيڤانجليكية يتمسك بها قطاع عريض للغاية... بأن دولة إسرائيل سوف تلعب دورًا جوهريًا فى خطة الله الخاصة بالآخرة... ويحظى هذا الاعتقاد بشعبية جارفة فى أمريكا.

عام ١٩٧٦م: إيڤانجليكى فى البيت الأبيض وعام الإيڤانجليكى

ساعد ترشيح چيمى كارتر للرئاسة وفوزه بها عام ١٩٧٦م على احتلال المسيحية المحافظة مركز الصدارة فى الوعى الشعبى. وأعلنت كلٌّ من مجلتى تايم ونيوزويك عام ١٩٧٦م عام الإيڤانجليكى. وتأكد هذا مجددًا بإعلان چيرالد فورد (المنافس على الرئاسة عام ١٩٧٦م) بأنه مسيحى مولود ثانيًا [مثلما أعلن چيمى كارتر]، وكان هذا بمثابة إعلان عن نضج الحركة ـ [الدين والسياسة، صفحة ١٥٠].

قال الرئيس كارتر أمام الكنيست الإسرائيلى فى عام ١٩٧٩م:

---

(١) أسس القس چيرى فالويل «الأغلبية الأخلاقية» منذ حوالى ربع قرن، ويشاهد برامجه الدينية ما يقرب من عشرين مليون أمريكى.

لقد آمن سبعة رؤساء للجمهورية أن علاقة أمريكا بإسرائيل أكثر من مجرد علاقة خاصة. لقد كانت ولا تزال علاقة فريدة لا يمكن تقويضها؛ لأنها متأصلة فى وجدان وأخلاق وديانة ومعتقدات الشعب الأمريكى.. إننا نتقاسم معًا ميراث التوراة - [ريچينا الشريف صفحة ٢٧٤ نقلاً عن «چيروزاليم پوست» ١٩٧٩م].

لقد كانت خلفيته البروتستانتية وأراؤه الدينية مرتبطة بسياسته تجاه الشرق الأوسط، وكان يرى كرئيس، أن دولة إسرائيل هى أولاً وقبل كل شىء «عودة إلى الأرض التوراتية التى أخرج منها اليهود منذ مئات السنين.. إن إنشاء دولة إسرائيل هو إنجاز النبوءة التوراتية وجوهرها»..

وعليه «التزام كامل ومطلق نحوها كإنسان وكأمريكى وكشخص متدين» - [ريچينا الشريف صفحة ٢٧٥، ٢٧٦].

وقد تزداد معرفتنا بالرئيس كارتر عندما نقرأ فى كتابه «الإيمان الحى» الصادر فى ١٩٩٦، ١٩٩٨م عن دار نشر راندرم هاوس:

العصيان المدنى مبرر إذا خالفت القوانين الإنسانية وصايا الله لنا - صفحة ١١٧.

ومع ذلك، لم يسلم الرئيس كارتر من اتهام بعض بلدياته بأنه متسيب دينيًا، حسب ما ذكر فى كتابه السابق: **جاء إلى المكتب البيضاوى أحد كبار المسئولين فى كنيسة المعمدانيين الجنوبية، وبعد انتهاء اجتماعى معه هو وزوجته، وقبل مغادرته المكتب قال: نحن نصلى، السيد الرئيس - Mr. President، حتى تترك العلمانية الإنسانية كدين.**

كان ذلك صدمة لى. هل قال ذلك لأنى عارضت تعديلاً دستوريًا يجعل الصلاة إجبارية فى المدارس العامة؟ أو لأنى خالفت برامج اليمين المسيحى فيما يخص معاهدة قناة پنما، أو معاهدة سالت الثانية مع الاتحاد السوفييتى؟

والأمر الأخير الذى يستحق أن نذكره عن كارتر، أنه اتهم الرئيس كلينتون بالانحياز لإسرائيل، وأن أمريكا لم تعد وسيطًا نزيهًا، بل وقال بالطريقة الأمريكية: تنام أمريكا وإسرائيل فى سرير واحد.

يدفعنا ذلك إلى تسجيل قولين مشهورين للرئيس كلينتون: «أنا مستعد للموت فى سبيل إسرائيل»، ومعروف أنه لم يحارب فى الجيش الأمريكى فى ڤيتنام، والثانى: أخبرنى راعى كنيستى أن الله سيغفر لى كل ذنوبى ما لم أتخل عن إسرائيل.

الرئيس ريجان وهرمجدون

نشأ رونالد ريجان متدينًا، يقرأ الكتاب المقدس بانتظام، ويذهب للكنيسة بالتزام، ويُعلم الكتاب المقدس فى مدارس الأحد. تأثر ريجان فى صغره بوالدته شديدة التدين، وفى شبابه بأصدقائه الإيڤانجليكيين.

وسنقتبس هنا مقتطفات من نصوص كتاب الراحلة الأمريكية جريس هالسل[1] «النبوءة والسياسة».

. . . فى عام ١٩٦٨م، نشر الكاتب ويليام روس مقالاً بعنوان «الحياة المسيحية»، نقل فيها عن ريجان قوله إنه فى خلال فترة علاج قصيرة فى المستشفى، زاره صديقه لاعب الكرة «دون مومو»، يرافقه المبشر الإنجيلى بيلى جراهام. . وأنهم تحدثوا عن النبوءات المتعلقة بالمجىء الثانى للمسيح وإمكانية تحققها فى ذلك الوقت. . وقال جراهام إنه لم يسبق فى التاريخ أن تحقق هذا الكم من النبوءات فى مثل ذلك الوقت القصير. . وطلب ريجان من صديقه «دون مومو» أن يرسل له المزيد عن تلك النبوءات. . وكان ريجان فى ذلك الوقت حاكم كاليفورنيا، وهى من أكبر ولايات أمريكا. .

فى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٠م وخلال حملة ريجان لحكم الولاية لمرة ثانية، زاره فى منزله فى سكرامنتو عدد من الأصدقاء، بينهم المغنى مات بون وزوجته شيرلى، واثنان من ذوى النفوذ فى الكنيسة، چورچ أوتيس، وهيرالد بريدسون، وتحدثوا طويلاً عن النبوءات التوراتية ونهاية الزمان. . وفى نهاية الحديث، وقف الجميع يصلون وأيديهم متشابكة. . وتنبأ أوتيس لريجان بأن يصبح رئيسًا للولايات المتحدة. .

---

(١) أمريكية مسيحية، ولدت فى بيئة دينية ملتزمة، وعملت كمراسلة صحافية، واختارها الرئيس چونسون للعمل معه فى البيت الأبيض.

وفى ٢٩ يونيه ١٩٧١م، طلب الحاكم ريجان من بيلى جراهام أن يلقى خطابًا فى المجلس التشريعى للولاية. . **فأعلن جراهام أن البديل الوحيد للشيوعية هو الخطة الواردة فى الكتاب المقدس. . وأن البشر سينتقلون من مشكلة لأخرى حتى يأتى المسيح.**

وبعد خطاب جراهام، أقام ريجان حفل غداء على شرفه، حضره كبار مسئولى الولاية كما حضره والت هانسون مدير مكتب جراهام، ويحكى هانسون عن الحوار التالى:

ريجان: هل تعتقد أن يسوع المسيح سيأتى سريعًا، وما مؤشرات ذلك إن كان سيحدث؟

جراهام: المسيح يقف خلف الباب، وسيدخل فى أى وقت. .

وفى نفس العام، قرأ ريجان عدة كتب رائجة عن هرمجدون، منها كتاب هال ليندسى: كوكب الأرض العظيم الراحل[١]. . ويكتب چيمس ميلز ـ الذى كان رئيسًا لمجلس الشيوخ فى ولاية كاليفورنيا ـ فى مجلة سان دياجو عدد أغسطس ١٩٨٠م، الرواية التالية عما حدث فى السنة الأولى للفترة الثانية لعمل ريجان حاكمًا للولاية [آخر السبعينيات]:

جلس الاثنان جنبًا لجنب فى مأدبة أقيمت على شرف ميلز، فسأله ريجان بصورة مباغته:

ـ هل قرأت الآيتين ٣٨، ٣٩ من حزقيال؟

ـ نعم، فقد نشأت فى بيت مؤمن، وقرأت وناقشت مقاطع حزقيال التى تتحدث عن يأجوج.

ـ لقد رأى حزقيال المذبحة التى ستدمر عصرنا. لقد تحولت ليبيا إلى الشيوعية[٢]. وفى ذلك إشارة مؤكدة على قرب هرمجدون.

(١) طبع هذا الكتاب عدة طبعات فى السبعينيات من القرن الماضى، وبيع منه ما يقرب من ٢٠ مليون نسخة، ثم أصبح فيلمًا سينمائيًا.

(٢) هل لهذا قصف ريجان ليبيا بالقنابل؟

ـ يقول حزقيال أيضًا إن إثيوبيا ستكون مع الشيطان. ولا أستطيع أن أرى هيلاسلاسى أسد يهوذا يحارب ضد شعب الله المختار.

ـ أنا أعتقد ذلك وأرى أنه لا مفر منه.. إنه ضرورى لتحقيق النبوءة..

[وقال ميلز: بعد ثلاث سنوات، أسقط الشيوعيون هيلاسلاسى، وفرح ريجان بذلك كثيراً].

ـ تحققت جميع النبوءات اللازمة قبل هرمجدون.. ولأول مرة يبدو كل شىء فى مكانه بانتظار هرمجدون والعودة الثانية للمسيح.

ـ الشىء الوحيد الذى ينص عليه الكتاب المقدس بوضوح أن أحداً لا يعرف وقت العودة الثانية للمسيح.

ـ كل شىء يأخذ مكانه.. لن يطول الوقت.. حزقيال يقول إن النار والحجارة المشتعلة سوف تمطر على أعداء شعب الله.. يعنى ذلك أنهم سيدمرون بالسلاح النووى.. حزقيال يخبرنا أن يأجوج وقوى الظلام الأخرى ضد إسرائيل سوف تأتى من الشمال.. أساتذة الكتاب المقدس يقولون منذ أجيال إن يأجوج هى روسيا الشيوعية الملحدة التى وضعت نفسها ضد الله.. وتنطبق عليها مواصفات يأجوج.

[قال ريجان ذلك بصوت عال]

كذلك تحدث ريجان عن هرمجدون مع كثيرين آخرين.. وأشار إلى حقيقة نبوءة أن القدس سوف تدنس تحت أقدام الأغيار (الچنتيل)، إلى أن ينتهى وقتهم.. وقد تحقق هذا بعد حرب ١٩٦٧م..

وفى حملته الانتخابية لرئاسة الولايات المتحدة، قال لچيم بيكر فى مقابلة تليفزيونية: قد نكون نحن الجيل الذى يشهد هرمجدون.. وقال الكاتب ويل الذى حضر المقابلة إنه سمع ريجان يردد مراراً: قد تكون نهاية العالم فى متناول يدنا.. إن هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذى سيرى هرمجدون..

وفى عام ١٩٨٣م، رتب ريجان لچيرى فالويل، أن يحضر اجتماع مجلس الأمن القومى ليناقش احتمال الحرب النووية مع الاتحاد السوفييتى.. كذلك ألقى هال

ليندسى كلمة حول الحرب النووية مع الاتحاد السوفييتى أمام قادة البنتاجون الاستراتيچيين.

خاطب ريجان الاتحاد الوطنى للمذيعين الدينيين ثلاث مرات فى أعوام ١٩٨٢، ٨٣، ٨٤، ومعظم أعضاء الاتحاد من المؤمنين بقرب هرمجدون.. فأكد لهم أن ذلك سيحدث بأسرع مما نتصور.. وصرح لهم بأن بين دفتى هذا الكتاب [الكتاب المقدس] توجد جميع الإجابات على جميع المشاكل التى تواجهنا اليوم..

ويعلق ميلز قائلاً: .. طالما أن سياسات ريجان متطابقة مع تفسيره الحرفى لنبوءات الكتاب المقدس، فلن يهتم بمسألة ديون أمريكا ولا عجز ميزانية الدولة، ولا أمور البيئة.. وبالطبع سيزيد من التسليح النووى[١]،[٢].

وتساءل أندرو لانج مدير الأبحاث فى المعهد المسيحى بواشنطن:

هل يؤمن بجدوى مباحثات التسلح رئيس يعتنق هذا الفكر؟ وخلال أية أزمة نووية، هل سيكون عاقلاً مترويّا؟ أو سيكون متهافتًا متعطشًا لإشعال الحرب النووية عملاً على تحقيق النبوءات التوراتية؟

سنوات بوش

قرأنا فى أول الكتاب مقالتين عن بوش، إحداهما ألمانية والثانية أمريكية، وقرأنا مقتطفات من كتاب بوش «مهمة للأداء»، بما لا يدع مجالاً للزيادة.

وبالطبع نحن نعيش ونعاين أقوال وأفعال بوش، التى تؤثر فى العالم عمومًا، والشرق الأوسط خصوصًا. فهل بوش استثناء خارج السياق الأمريكى؟

أم هو يمثل تيارًا أصيلاً فاعلاً، ليس كاسحًا ولكنه ليس مستبعدًا ولا مهمشًا.

انتخابات الرئاسة الأمريكية على الأبواب، وقد يصدر هذا الكتاب قبلها أو بعدها، وقد شاهدنا مناظرات بوش وكيرى وماذا يقول كل منهما عن الشرق الأوسط.

---

(١) يمكن قول نفس الشىء بالنسبة لچورچ بوش.

(٢) النبوءة والسياسة، جريس هالسل، ترجمة محمد السماك، دار الشروق، الطبعة الثانية ـ ٢٠٠٣م، ص ٤٥ ـ ٥٣.

وشاهدنا أيضًا چيرى فالويل يعلن ـ إن لم يكن يهدد ـ على شاشات التليفزيون أنه لو تخلى بوش عن القدس كعاصمة لإسرائيل، فلن يحصل على صوت إيڤانجليكى واحد.

وقد سبق لچيرى فالويل منذ أيام نتنياهو، أن نصح وداوم على نصح، قادة إسرائيل بألا يتخلوا عن بوصة واحدة من أرض إسرائيل التوراتية.

وفى المقابل، فإن الكنائس المشيخية[1] ـ وهى پروتستانتية ـ طالبت بمقاطعة إسرائيل، وفرض عقوبات على الشركات الأمريكية ذات الاستثمارات العملاقة فى إسرائيل.

***

قد يفوز بوش، وقد يفوز كيرى[2]...

وفوز كيرى لا يعنى أنه لا يوجد تيار قوى من اليمين المسيحى المحافظ، أو الأصوليين المسيحيين فى أمريكا..

كما أن فوز بوش لا يعنى أنه لا يوجد تيار قوى من الليبراليين فى أمريكا..

ولم يقل أحد ذلك بعد فوز بوش على آل جور فى الانتخابات السابقة..

والجدير بالذكر، أن كيرى يؤيد إسرائيل فى كل فرصة تسنح له.. سيقول البعض بسبب أصوات اليهود ونفوذهم، ويقول البعض الآخر لأن السيناتور چوزيف ليبرمان اليهودى هو الذى يضع سياسة الحزب الديمقراطى فى الشرق الأوسط..

فهل يضاف إلى ذلك تأثر كيرى بالثقافة السائدة فيما يخص شعب الله المختار.. الأرض الموعودة.. وعودة المسيح ليحكم العالم من القدس؟..

وأين وجودنا نحن من كل ذلك؟!

***

(١) تمثل حوالى ٢٪ من السكان فى أمريكا، أى تقريبًا نفس نسبة عدد اليهود.

(٢) فى هذه الانتخابات فاز بوش بمدة رئاسة ثانية للولايات المتحدة.